أصل
الإنسان في القرآن الكريم

تأليف

عبدالإله علي حسن البلداوي

مركز سبع الدجيل للتبليغ والإرشاد – العراق

اصدارات: مركز سبع الدجيل (ع) للتبليغ والارشاد
العراق – قضاء بـــلد
العنوان الالكتروني: saldujailc@hotmail.co.uk
الطبعة الأولى
محل الطبع: بغداد
تاريخ الطبع: ١٤٢٧هج / ٢٠٠٦م
الناشر: مركز سبع الدجيل (ع) للتبليغ والإرشاد
حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الرجاء

(قراءة الفاتحة على أرواح امواتنا وامواتكم)

الإهداء

إلى كل من علمني حرفاً
فصيرني بذلك له عبدا ،
إلى أساتذتي الكرام ،
أهدي هذا الجهد المتواضع ،
راجياً من اللّه سبحانه وتعالى القبول ،
ومنهم النصح والإرشاد .

عبدالإله علي حسن البلداوي

تنبيه:

كُتب هذا البحث كبحث تخرج من كلية الشريعة في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن لنيل شهادة البكالوريوس في علوم الشريعة الإسلامية للسنة الدراسية ١٩٩٧ – ١٩٩٨م، مع بعض التعديلات، ولأهمية البحث تمَّ طبعه.

المقدمة:

(الإنسان هو مجمع العجائب وملتقى النقائض والغرائب، فيه من كل شئ أثر، وفي كل أثر ضده الذي يصارعه ويضارعه، ومن صراع هذه الأضداد في الأنسان تستمر حياته، فيه النور وفيه الظلمة، فيه أسباب السعادة كلها وأسباب الشقاء كله، تجري في عروقه ودمه نفوس الشياطين، وتسكن في خياله وعقله أرواح الملائكة وأنفاس الملأ الأعلى، خلقه الله محملاً بالأسرار المقفلة، وجعل مفتاح هذه الأسرار رمزاً من الرموز، ألقاه إليه، فإن هو اهتدى الى كشف الرمز ومعرفته، دخل إلى فضاء أسراره وانتهى إلى سعادته، وإن هو ضل عن فهم الرمز ولم يهتد إلى معرفته، منع من الدخول وانتهى الى شقائه)[١]

أخترتُ هذا البحث لأنه من المواضيع المهمة وحري بالأنسان أن يعرف أصله ومن أين خُلق لكي يعرف نفسه، وكما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) [من عرف نفسه فقد عرف ربه] هذا أولاً، وثانياً: ليس هناك كتاب أوكراس مستقل بهذا الموضوع وإنما هناك نتف متناثرة في بطون الكتب .

وثالثاً: وهي النقطة المهة التي جعلتني أخذ هذا البحث وهو كلما غرتُ في أعماقه تتكشف لي أمور كثيرة وجديدة لم أطلع عليها سابقاً وتحتاج الى تفكر، وفي الحديث الشريف [تفكر ساعة خيرٌ من عبادة ستين سنة].

كما قسّم البحث الى مقدمة ومدخل والى بابين تحتوي على ستة فصول ، هي كما يلي :-

١- المقدمة .

٢- المدخل .

٣- أبواب البحث، وتتكون من بابين وستة فصول.

٤- الخاتمة : وتتضمن خلاصة البحث ونتيجته .

٥- الهوامش .

٦- مصادر البحث ومراجعه .

٧- الفهرس .

المدخل:

١- لابد لنا من بيان مفردات عنوان البحث:

أ- معنى أصل: لغةً [٢] واصطلاحاً:

أصل مفرد جمعها أصول، والأصل - كما يعرفه المعجم اللغوي العربي :-

(مايبنى عليه الشئ، أو مايتوقف عليه) [٣]

و(أصل الشئ أساسه الذي يقوم عليه) [٤]

و(هو مايبتني عليه غيره) [٥]

وقد مرت كلمة (أصل) شأنها شأن الكثير من الكلمات العربية بمراحل تطورت فيها دلالتها من معنى الى آخر :-

الوضع الأول: حيث وضعت أول ماوضعت لأسفل الشئ (فيقال: أصل الجبل، وأصل الحائط، وأصل الشجرة)، ويراد به أسفل الجبل أي قاعدته، وأسفل الحائط أي أساسه، أسفل الشجرة أي جذرها.

الوضع الثاني: ثم توسع المعنى حتى تناول كل مايستند وجود الشئ إليه، فالأب أصل الولد، والنهر أصل للجدول، وهكذا.

وهو المعنى المراد هنا.

وهناك وضع ثالث خارج عن محل بحثنا (لمن يريد الأطلاع عليه فليراجع كتاب أصول البحث لسماحة الدكتور عبدالهادي الفضلي)

- ومعنى أصل (فقهياً وأصولياً)[٦]: ذكروا لها معاني وصل بها بعضهم الى خمسة:-

أولاً- مايقابل الفرع، فيقال مثلاً في باب القياس: الخمر أصل النبيذ، أي ان حكم النبيذ مستفاد من حكم الخمر.

ثانياً- مايدل على الرجحان، فيقال: الحقيقة أصل المجاز، أي اذا تردد الأمر بين حمل كلام على الحقيقة وحمله على المجاز، كان الحمل على الحقيقة أرجح .

ثالثاً- الدليل، أي الكاشف عن الشئ والمرشد له.

رابعاً- القاعدة، أي الركيزة التي يرتكز عليها الشئ كقوله (ص) بني الاسلام على خمسة أصول، أي على خمس قواعد.

خامساً- مايجعل لتشخيص بعض الأحكام الظاهرية أو الوظيفة كالاستصحاب أو أصل البراءة.

ب – الإنسان [٧] :- فله عدة تعريفات:

– ابن عباس: فقد أسندوا إلى ابن عباس أنه قال:

(إنما سمي إنساً لأنه عهد إليه فنسي).

– أبو علي مسكويه: فعنده: (أن الإنسان أنيس بالطبع وليس بوحشي ولانفور، ومنه اشتق اسم الإنسان)، وليس من النسيان، لأن النسيان لم يكن في أصل الفطرة، وإنما هو مكتسب بأسباب وعوامل يزول بزوالها) .

– الراغب الأصفهاني: يقول في المفردات:(قيل: سمي بذلك لأنه خلق خلقة لأقوام له إلا بإنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدني بالطبع من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض، ولايمكنه أن يقوم بجميع أسبابه، وقيل: سمي بذلك لأنه يأنس بكل مايألفه).

– أبو حيان التوحيدي – في المقابسات – يقول: (حي ناطق مائت، فالحي دلالة على الحس والحركة، والناطق دلالة على العقل والروية، والمائت دلالة على السيلان والإستحالة).

– الجرجاني – في التعريفات – حيث يكتفي بقوله:

(الإنسان هو الحيوان الناطق) .

– ثم نعود مرة أخرى إلى التوحيدي الذي يجيب في آخرمقابسة من مقابساته على السؤال، ما الإنسان ؟ فيقول:(شخص بالطينة، ذات بالروح، جوهر بالنفس، إله بالعقل (أي عقله من نور الله)، واحد بالكثرة، فان بالحس، باق بالنفس، ميت بالأنتقال، حي بالاستكمال، ناقص بالحاجة، تام بالطلب، حقير في المنظر، خطير في المخبر، لبّ العالم، فيه من كل شئ شئ. وله بكل شئ تعلق، صحيح النسب إلى من نقله من العدم، قوي السبب بمن سيعيده عن أمم. وأخبار الإنسان كثيرة، وأسراره عجيبة، من عرفه فقد عرف سلالة العالم ومصاصته، قد حوى جوهره شبهاً من كل مايعرف ويرى، فهو مثال لكل غائب، وبيان لكل شاهد، عجيب الشأن، شريف البرهان، غريب الخبر والعيان) .

وهذاالنص – كما يقول الدكتور صالح عضيمة – من أغنى النصوص وأقواها وأمتعها في تقديم الإنسان والتعريف به، وفي شرح ماهيته وتبيان أحواله.

ت– في: حرف جر .

ث– القرآن الكريم: فلننظر ماذا قالوا عنه :–

– النبي محمد (ص): يقول [إنّ هذا القرآن، هو النّورُ المبين، والحبلُ المتين، والعروةُ الوُثقى، مَنِ استَضاء به نّوره اللّه، ومن عقَد به امورَه عصمَه اللّه، ومن تمسَّك به أنقَذَه اللّه، ومن لم يُفارِقْ اَحكامَه رَفَعَهُ اللّه، ومَنِ اسْتشفى به شفاهُ اللّه، ومن آثَرَه على ما سِواه هَداهُ اللّه، ومن طلبَ الهدى في غيره أضَلَّه اللّه، ومن جعلَه شِعارَه ودِثارَه اسعَدَهُ اللّه، ومن جعلَه إمامَه الذي يَقتدي به ومُعوَّلَهُ الّذي ينتهي اليه، آواهُ اللّه الى جنات النّعيم، والعيش السّليم] (٨) .

– الإمام علي (ع): [.... ثم أنزل عليه (النبي) الكتابَ نوراً لاتُطفأُ مصابيحُه، وسِراجاً لايَخبو تَوقُّدُه، وبحراً لايُدرَكُ قَعرُه، ومنهاجاً لايُضِلُّ نَهجُه، وشعاعاً لايُظلِمُ ضَوؤُه، وفرقاناً لايُخمَدُ برهانُه، وتبياناً لاتُهدَمُ اركانُه، وشِفاءً لاتُخشى أَسقامُه، وعِزاً لاتُهزَمُ انصارُه، وحقاً لاتُخذَلُ أعوا نُه، فهو مَعدِنُ الايمان وبُحبوحتُه، وينابيعُ العلم وبُحورُه، ورياض العدل وغُدْرانُه، أَثافِيُّ الاسلام وبنيانُه، وأَوديةُ الحق وغيطانهُ، وبحرٌ لايَنزِفُه المستنزفون، وعيون لايُنضِبُها الماتِحون، ومَناهِلُ لايُغيضُها الواردون، ومنازلُ لايَضِلُّ نهجَها المسافرون، وأعلامٌ لايَعمى عنها السائرون، وآكامٌ لايجوز عنها القاصدون، وحبلاً وثيقاً عروتُه، ومَعقِلاً منيعاً ذِروتُه، وعزاً لمن تَوَلاّه، وسِلْماً لِمَن دخلَه، وهدًى لِمَنِ ائْتَمَّ به، وعُذراً لِمَنِ ا نْتَحلَه، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصَم به، وفَلْجاً لمن حاجَّ به، وحاملاً لمن حمِلَه، ومَطيّةً لمن أَعمَلَه، وآيةً لمن توسَّم، وجُنَّةً لِمَنِ اسْتلأَمَ، وعلماً لمن وَعى، وحديثاً لمن رَوى، وحُكماً لمن قَضى ...] (٩) .

– السيد الخوئي (قدس سره): (..وحسب القرآن عظمة، وكفاه منزلة وفخراً أنه كلام اللّه العظيم، ومعجزة نبيه الكريم، وأن آياته هي المتكفلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم في أجيالهم وأدوارهم، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل) [١٠] .

– الدكتور داوُد العطار (قدس سره): (القرآن هو المصدر الأول للاسلام، وأقدس كتاب لدى المسلمين، وخاتم الكتب السماوية، وبه تثبت نبوَّة رسول اللّه محمد (ص)، وبه تقوم الحجة على الناس جميعاً إلى يوم القيامة بالتزام الإسلام ديناً، لأنه معجزة، ولخلود ما فيه من إعجاز، وهو المصدر الوحيد – القطعي الثبوت – بإجماع المسلمين، لم تمتد إليه يد التحريف أوالزيادة أوالنقصان) [١١] .

٢– المناهج التي استخدمت في هذا البحث هي مايلي:–

أ– المنهج النقلي .

ب– المنهج العقلي .

ت– المنهج المقارن .

٣– نوع البحث: يقول الدكتور الفضلي حفظه اللّه في كتابه (أصول البحث): (لابد أن يأتي الباحث في بحثه بجديد مبتكر، أو جديد يضيفه إلى تجارب من سبقه في مثل بحثه ليكملها أو يتكامل معها، والجديد قد يكون في الفكرة، وقد يكون في العرض، وقد يكون في غيرهما) .

وأفاد حاجي خليفة في هذا بقوله: ثم إن التأليف على سبعة أقسام لايؤلف عالم عاقل إلاّ فيها، وهي:

أولاً- إمّا شئ لم يسبق إليه فيخترعه .

ثانياً- أو شئ ناقص يتممه .

ثالثاً- أو شئ مغلق يشرحه .

رابعاً- أو شئ طويل يختصره دون أن يخل بشئ من معانيه .

خامساً- أوشئ متفرق يجمعه .

سادساً- أوشئ مختلط يرتبه .

سابعاً- أوشئ أخطأ فيه مصنفه فيصلحه [١٢] .

وموقع بحثي هو القسم الخامس من هذه الأقسام، شئ متفرق أحببت جمعه وترتيبه، كما نوهت في المقدمة بذلك .

أبواب البحث وفصوله

الباب الأول: خلق الإنسان.

الفصل الأول: مسألة خلق الإنسان ومبدأ خلقه.

الفصل الثاني: مسألة خلق الإنسان آدم (ع).

الباب الثاني: عالم الذر.

الفصل الأول: مفهوم عالم الذر.

الفصل الثاني: التفسير النقلي.

الفصل الثالث: التفسير العقلي.

الفصل الرابع: التفسير الفلسفي.

الباب الأول

الفصل الأول

مسألة
خلق الانسان ومبدأ خلقه

عُني القرآن الكريم بمسألة خلق الإنسان ومبدأ خَلْقه عنايةً خاصة، وأولاها كثيراً من التأكيد والأهتمام، لأنها إحدى المسائل الفكرية البارزة بين مسائل الكون والحياة، ولما يمكن أن تثير من تساؤل واستطلاع لدى كثير من الناس .

وشاءت الحكمة الإلهية أن ترد الإشارة الى هذه الفقرة العلمية في هذا الكتاب الخالد كما وردت الإشارة الى عدد من المسائل الكونية والتكوينية فيه تلميحاً أوتصريحاً، لإثبات إنه كتاب الله المبين، ومعجز هذا الدين وأية صِدقِ رسول الله (ص) الصادق الأمين.

وعندما نستعرض الآيات القرآنية المتحدثة عن خلق الأنسان ووجوده الأول، نجد انها قد عُنيت بهذا الموضوع من ثلاث جوانب [١٣]:

الجانب الأول:- وهو الذي عُني بأصل الإنسان - بحكم كونه إنساناً - وبمواد خلقه وعناصر تركيبه.

الجانب الثاني:- وهو الذي عُني بـــ آدم (ع) بملاحظة كونه الإنسان الأول والأب لكل الأدمين.

الجانب الثالث:- وهو الذي عُني بالحديث عما سُميِّ في إصطلاح المحدّثين بـــ (عالم الذر) وما رُوي بشأنه من وجودٍ سابق للناس كلهم في لحظة واحدة لأخذ الميثاق عليهم .

ولابدَّ لنا من وقفةٍ متأنية فاحصة عند كل جانب من هذه الجوانب .

أما الجانب الأول: فقد عُنيت به آيات كثيرة نجتزئ منها خمسة نماذج:-

النموذج الأول: إن الإنسان خُلِقَ من الماء، والدليل على ذلك الآيات التالية:-

- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شيءٍ حَيٍّ ﴾ الأنبياء: ٣٠
- وقوله: ﴿ واللّهُ خَلَقَ كُلَّ دابةٍ مِن ماءٍ ﴾ النور: ٤٥
- وقوله: ﴿ وَهُوَ الذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهراً ﴾ الفرقان: ٥٤
- وقوله ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ، خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ ، يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ الطارق: ٥-٧ .
- وقوله: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ ﴾ المرسلات: ٢٠
- وقوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ﴾ السجدة: ٨

قال المفسرون في شرح هذه الآيات المباركة [١٤] :-

الآية الأولى والثانية تدلان بصراحة على أن الماء هو أصل كل الكائنات الحية من نباتية وحيوانية.

بمعنى: أنه تعالى جعل من الماء حياة كل ذي روح ونماء كل نامٍ، وحتى خلق آدم لما كان من الطين فإن الماء داخل فيه .

وقيل: ان المقصود حفظ حياة كل شئ بالماء.

وأما الماء في الأية الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة فهو النطفة، أو ماء الصلب، كقوله تعالى ﴿ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ ﴾ الطارق: ٦ و قوله ﴿ مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ السجدة: ٨ / المرسلات: ٢٠

النموذج الثاني: إن الإنسان خُلِقَ من التراب، والدليل على ذلك الآيات التالية:-

- قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آياته أَنْ خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ إِذا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُون ﴾ الروم: ٢٠

- وقوله: ﴿ وَاللّهُ خَلَقَكُم مِن تُرَا بٍ ثُمَّ مِن نُّطفَةٍ ثُمَّ جَعلَكُم أَزواجاً ﴾ فاطر: ١١

- وقوله: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ: أَكَفَرتَ بِالذي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ الكهف: ٣٧

- وقوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ آل عمران: ٥٩ .

- وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ الحج: ٥

- وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ غافر: ٦٧

قال المفسرون في بيان هذه الآيات المباركة مايلي :-

خَلْقُ الإنسان من تراب: معناه خلق آدم - الذي هو أبو البشر وأصلهم - من تراب، والشئ قد يضاف الى أصله، بملاحظة أن البشر نسل آدم واليه ينتمون.

وقيل: لما كانت النطفة خلقها اللّه سبحانه بمجرى العادة من الغذاء، والغذاء ينبت من تراب، جاز أن يقول: خلقكم من تراب [١٥] .

النموذج الثالث: إن الإنسان خُلِقَ من الأرض، والدليل على ذلك الآيات التالية:-

- قوله تعالى: ﴿ وَاللّهُ أَنبَتَكُم مِن الأرضِ نَباتاً ﴾ نوح: ١٧
- وقوله: ﴿ هُوَ أَنشأَكُم مِنَ الأرضِ وَاستَعمَرَكُم فِيها ﴾ هود: ٦١
- وقوله: ﴿ هُوَ أَعلَمُ بِكُم إِذ أَنشأَكُم مِنَ الأرضِ ﴾ النجم: ٣٢

قال المفسرون في بيان هذه الآيات المباركة مايلي:-

أنبتكم من الأرض: أي أنبت أباكم أدم منها.

وقيل: معناه أنه تعالى أنبت الكل من الأرض، لأن الخلق إنما يكون من النطف، وهي متولدة من الأغذية المتولدة من النبات والمتولد من الأرض .

وأنشأكم من الأرض: أي أبتدأ خلقكم من الأرض لأنه خلق آدم منها، ومرجع نسبكم إليه، بمعنى أنه أنشأ أباكم آدم من أديم الأرض.

وقيل: يجوز أن يكون المراد أن اللّه خلق الخلق من الطبائع الأربع على حسب ما أجرى العادة من خلق الأشياء وتركيبها [١٦] .

النموذج الرابع : إن الإنسان خُلِقَ من الطين، والدليل على ذلك الآيات التالية:-

- قوله تعالى: ﴿ وَبدأَ خَلْقَ الإنسانَ مِن طينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسلَهُ مِن سُلالَةٍ مِن مَّاءٍ مَّهينٍ ﴾ السجدة: ٧-٨
- وقوله: ﴿ ولَقَد خَلَقْنا الإنسا نَ مِن سُلالَةٍ مِن طينٍ ﴾ المؤمنون: ١٢

- وقوله: ﴿ هُوَ الذي خَلَقَكُم مِن طينٍ ثُمَّ قَضَى أجلاً ﴾ الأنعام: ٢
- وقوله: ﴿ إنَّا خَلَقناهُم مِن طينٍ لازِب ﴾ الصافات: ١١
- وقوله: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ الأعراف: ١٢
- وقوله: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ ﴾ ص: ٧١
- وقوله:﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ ص: ٧٦
- وقوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾ الإسراء: ٦١

معنى الطين لغةً:

الطين: معروف الوحل، واحدته طينة، وهو من الجواهر الموصوف بها، حكى سيبويه عن العرب: مررت بصحيفةٍ طين خاتُمها، جعله صفة لأنه في معنى الفعل، كأنه قال لينٍ خاتمها، والطان لغة فيه.

ويوم طان: كثير الطين، وموضع طان كذلك.

ويقول الجوهري: يوم طان ومكان طان وأرض طانة: كثير الطين.

وفي التنزيل العزيز: ﴿ أأَ سُجُدُ لمن خَلَقتَ طيناً ﴾.

قال أبو إسحاق: نصب طيناً على الحال أي خلقته في حال طينته، والطينة: قطعة من الطين يختم بها الصَّكُّ ونحوه. وطنتُ الكتابَ طيناً: جعلتُ عليه طيناً لأختمه به. وطان الكتاب طيناً وطيَّنه: ختمه بالطين، هذا هو المعروف.

والطيان: صانع الطين، وحرفته الطيانه، وأما الطيان من الطوى وهو الجوع فليس من هذا، وهو مذكور في موضعه. والطينة: الخِلْقة والجِبِلَّة. يقال: فلان من الطينة الأولى، وطانه الله على الخير وطامه أي جَبَلَه عليه، وهو يطينه، قال:

ألا تلك نفسٌ طينَ فيها حَياؤها

يريد أن الحياء من جبلتها وسجيتها، وفي الحديث: ما من نفس منقوسة تموت فيها مثقال نملة من خير إلاَّ طين عليه يوم القيامة طيناً أي جُبلَ عليه. يقال طانه الله على طينته أي خلقة على جبلته. وطينةُ الرجل: خلقته وأصله. وطيناً مصدر من طان، ويروي طيم عليه، بالميم، وهو بمعناه. ويقال لقد طانني الله على غير طينتك [١٧] .

قال المفسرون في شرح هذه الآيات المباركة مايلي:-

السُّلالة – فُعالة – هي الخلاصة، أو بتعبير آخر: استخراج الشئ من الشئ، وتسمئ النطفة سلالة، والولد سلالة، ويراد بها الماء يُسلُّ من الظهر سَلاًّ. ومَثَّلَ بعضٌ للسلالة بالطين اذا عصرتَه إنسلَّ من بين أصابعك، فالذي يخرج هو السلالة.

وأن الآيتين الأولى والثانية تعني بالإنسان آدم، أي بدأ خَلْقَ آدم الذي هو أول البشر من طين، كان تراباً، ثم صار طيناً، ثم صلصالاً، ثم حيواناً، ثم جعل نسله وذريته من الماء الذي إنسلَّ فخرج منه . وقيل: ان الإنسان هنا ولد آدم – لا آدم نفسه – والطين هو اسم آدم، والسلالة

هي الأجزاء الطينية المبثوثة في اعضائه التي لما اجتمعت وحصلت في أوعية المنِّي صارت منياً .

وقيل: ان الإنسان انما يتولد من النطفة، وهي انما تتولد من الأغذية، وهي إمّا حيوانية أو نباتية، والحيوانية تنتهي الى النباتية، والنبات انما يتولد من صفو الأرض والماء، فالإنسان بالحقيقة يكون متولداً من سلالة من طين، ثم ان تلك السلالة بعد أن تواردت على أطوار الخلقة وأدوار الفطرة صارت منياً .

اذن فلما كان الإنسان مخلوقاً من الأغذية النباتية – ولاشك انها متولدة من الطين – ثبت ان كل انسان متولد من طين .

وأمّا وصف الطين بـــ لازب فمعناه: اللازق أو اللازم أو الثابت، وربما كان المقصود به هنا: المتماسك [١٨] .

النموذج الخامس: إن الإنسان خُلِقَ من الصلصال، والدليل على ذلك الآيات التالية:-

– قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقنا الانسانَ مِن صَلْصَا لٍ مِنْ حَمَأٍ مَّسنُونٍ ﴾ الحجر: ٢٦

– وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ الحجر: ٢٨

– وقوله: ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ الحجر: ٣٣

– وقوله: ﴿ خَلَقَ الإنسانَ مِن صَلْصَا لٍ كَالفَخَّارِ ﴾ الرحمن: ١٤

معنى صلصال لغةً:

والصلصال من الطين: مالم يُجعل خزفاً، سمي به لتصلصله، وكل ما خفَّ من طين أو فخَّار فقد صَلَّ صَليلاً، وطين صِلاَّل ومصلال أي يصوت كما يصوت الخزف الجديد، وقال النابغة الجعدي:

فإنَّ صَخْرَتَنا أَعْيَتْ أَباكَ، فلا يَأْلُو لها ما استطاعَ، الدَّهرَ، إخبالا
رَدَّتْ مَعَاوِلَهُ خُثْماً مُفَلَّله، وصادَفَتْ أَخضَرَ الجالَين صَلاَّلا

ويقول أبو إسحاق: الصلصال: الطين اليابس الذي يصل من يبسه أي يصوت. وفي التنزيل العزيز: ﴿ من صلصال كالفخار ﴾ قال: هو صلصال مالم تصبه النار، فإذا مسته النار، فهو حينئذ فخَّار.

وقال الأخفش: كل شئ له صوت فهو صلصال من غير طين.

وفي حديث ابن عباس: في تفسير الصلصال: هو الصال الماء الذي يقع على الأرض فتتشق فيجف فيصير له صوت فذلك الصلصال.

وقال مجاهد: الصلصال: حمأ مسنون.

وقال الأزهري: جعله حمأ مسنوناً لأنه جعله تفسيراً للصلصال ذهب الى صَلَّ أي أنتن، قال:

وصدرتْ مُخْلِقُها جَديدُ وكُلُّ صَلاّلٍ لها رَثيدُ

وقال الجوهري: الصلصال: الطين الحر خُلط بالرمل فصار يتصلصل إذ جفَّ فإذا طُبخَ بالنار فهو الفَخَّار [١٩] .

ويقول الفراهيدي: والطين صلصال لتصلصه إذا حُرِّك، فإذا طُبِخَ فهو فخار، وخُلِقَ آدمُ من طينٍ، ومَكَثَ في الشمس أربعين يوماً حتى صار صلصالاً [٢٠] .

قال المفسرون في بيان هاتين الآيتين المباركتين مايلي:-
الصلصال:الطين اليابس لم تصبه نار فهو يصلُّ من يبسه أي يصوِّت.
أو الطين الحُرُّ خُلِط بالرمل فصار يتصلصل اذا جفَّ .
أو التراب المرقق، أو التراب اليابس الذي يُبَلُّ بعد يبسه، أو المنتن .
والحمأ: الطين الأسود المنتن، أو المتغير الى السواد .
والمسنون: المتغيرِّ، أو المنتن، أو الرَّطب، أوالحكوك، أو المصوَّر، أو المصبوب على صورة .
وأرجح المعاني الأخيران، أي المصوَّر التام المصبوب على الصورة المقَّدرة والمثال المطلوب .
والفخّار: هو الصلصال المطبوخ بالنار[٢١] .

الباب الأول

الفصل الثاني

مسألة
خلق الإنسان الأول آدم (ع)

أمّا الجانب الثاني المرتبط بالحديث عن آدم بالذات: فقد عُنيت به آيات كريمة متعددة لم تخرج عن منهج الآيات السابقة من حيث الأساس، وإنما جاءت تأييداً لذلك وتأكيداً عليه .

– قوله تعالى: ﴿ إ نَّ مَثَلَ عيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقهُ مِن تُرا بٍ ﴾ آل عمران: ٥٩

– وقوله: ﴿ إذ قَالَ ربُّكَ لِلمَلائِكةِ إِني خالقٌ بَشَراً مِن طِينٍ، فإذا سَوَّيتُهُ وَنَفخْتُ فيهِ مِن رُّوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدينَ ﴾

الى قوله عزَّ من قائل: ﴿ قَال: أنا خَيرٌ مِنهُ خَلقتَني مِن نا رٍ وَخَلَقتَهُ مِن طينٍ ﴾ سورة ص: ٧١ – ٧٦

– وقوله: ﴿ فَسَجدُوا إلا إِبليسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طيناً ﴾ الاسراء: ٦١

قال المفسرون في شرح هذه الآيات المباركة مايلي:–

الَخلْقُ: فِعْلُ الشئ على تقدير وترتيب، وكان جعل آدم على مقدار ما تقتضيه الحكمة، وأصل الخلق التقدير.

فإذا سوَّيته: أي سوَّيتُ خلق هذا البشر وعدَّلت صورته وتممت اعضاءه وركَّبت اجزاءه وأودعت فيه الروح فأسجدوا له [٢٢] .

ويقول الشيخ الطوسي تعليقاً على ذلك:

(وَصَفَ اللّه تعالى الانسان الذي هو آدم أبو البشر انه خلقه من صلصال، وفي موضع آخر: من طين لازب، وفي موضع آخر: من حمإٍ مسنون، وفي موضع آخر: خلقه من تراب. واختلاف هذه الألفاظ

لاتناقض فيها لأنها ترجع الى اصل واحد وهو التراب، فجعله طيناً، ثم صار كالحمإٍ المسنون، ثم يبس فصار صلصالاً كالفخار) [٢٣] .

ويقول باحث آخر في الموضوع نفسه:

(قال عز ذكره: ان مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب، وقال حكاية عن الشيطان:

خلقتني من نار وخلقته من طين. فأخبر عن ابتداء خلق آدم انه كان من التراب، ثم ضمَّ اليه الماء فكان طيناً، ثم سلَّ خلاصة الطين بدلالة قوله تعالى:

﴿ واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ ثم ترك حتى جف وصلصل كما في قوله تعالى ﴿ خلق الانسان من صلصال كالفخار ﴾ . وهذه احوال كان اللّه تعالى يحوِّلُها على الإنسان تصفية لطينته واخلاصاً لنيته، إذ لم يُخْلَق من كل طين كما يتولد منه الحيوان وينبت منه النبات، ولاجعله في جميع الأحوال والهيئات كما يوجَد منه ذلك، ولو شاء لأوجده) [٢٤] .

الباب الثاني

الفصل الأول

حقيقة عالم الذر

أما الجانب الثالث فهو المعنيُّ بمسألة (عالم الذَّر): وما رُوي بشأنها من وجودٍ سابق للناس، كل الناس، في اليوم الأول لانطلاقة الحياة الأنسانية على سطح هذا الكوكب، إذ أخرج اللّه تعالى جميع العباد – يومذاك – من صلب الإنسان الأول آدم عليه السلام، حيث أخذ عليهم الميثاق بالوحدانية والربوبية وأشهدهم على ذلك، ثم أعادهم الى صلب ابيهم مرة اخرى، ليوجَدوا ويولدوا على مَّر الزمان وعلى النحو الطبيعي جيلاً بعد جيل .

وإنما أطلق المحدثون المسلمون على هذا الحدث اسم (عالم الذر) لتكرُّر لفظ (الذر) في كل الروايات الواردة في هذا الموضوع .

قبل ان نعطي رأينا في حقيقة ذلك العالم وواقع ذلك الميثاق المأخوذ في ذلك العالم المذكور ولأجل ان نتجنب اتخاذ أي موقف قبل دراسة ومراجعة الآية المرتبطة بهذا الموضوع يتعين علينا استعراض هذه الآية أولاً، لكي ندفع القارئ نفسه الى التأمل فيها والتفكير حولها لمعرفة معنى هذه الآية المباركة ومغزاها .

واليك نص الآية الشريفة: قوله تعالى ﴿ وإ ذْ أخَذَ رَبُّكَ مِن بني آدَمَ من ظُهورهم ذُرِّيتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم ؟ قالوا: بلى شَهدنا أنْ تقولوا يوم القيامة إ نّا كُنّا عَن هذا غافلين ﴾ الأعراف: ١٧٢

وثانياً: علينا أن نعرف معنى كلمة (الذرية) ومن أين اشتقت وما هي استعمالاتها[٢٥]:

١- لقد وردت لفظة (الذرية) في [١٨] موضع آخر ماعدا هذا الموضع ، والمقصود بها في كل تلك الموارد هو (النسل البشري) وليس في ذلك خلاف، وإنما وقع الخلاف في أصل هذه اللفظة وانها مأخوذة من ماذا؟

- ذهب فريق الى ان لفظة (الذرية) مشتقة من (الذرء) بمعنى الخلق، وفي هذه الصورة تكون الذرية الذرية بمعنى: المخلوق .

- وذهب فريق آخر الى أنها مشتقة من (الذر) بمعنى الكائنات الصغيرة الدقيقة جداً كذرات الغبار وصغار النمل .

- وذهب فريق ثالث الى أنها مأخوذة من (الذرو) أو (الذري) بمعنى التفرق والأنتثار وانما تطلق (الذرية) على ولد آدم ونسله لتفرقهم على وجه الأرض واكناف البسيطة [٢٦] .

٢- تستعمل لفظة الذرية -غالباً- في الأولاد الصغار مثل: قوله تعالى ﴿ ولَهُ ذُرِيَةٌ ضُعَفاءُ ﴾ البقرة: ٢٦٦

- وقد تستعمل في مطلق الأولاد مثل: قوله تعالى ﴿ وَمِن ذُرِيَّتِهِ داوُدَ وَسُليما نَ ﴾ الأنعام: ٨٤

- كما أنها قد تستعمل في فرد واحد مثل: قوله تعالى ﴿ هَبْ لي مِن لَّدُنكَ ذُرِيَّةً طَيِبَةً ﴾ آل عمران: ٣٨ .

- وقد تستعمل في الجمع مثل: قوله تعالى ﴿ وَكُنا ذُرِيَّةً مِن بَعْدِهِم ﴾ الأعرا ف: ١٧٣

٣- المطلوب الدقة والعناية في عبارة الآية المباركة: فالآية تفيد أن اللّه أخذ من ظهور كل ابناء آدم، أنسالهم وذرياتهم، وليس من ظهر آدم

وحده. وذلك بدليل أن اللّه تعالى يقول:﴿ واذ اخذ ربك من بني آدم ﴾، ولم يقل: واذ اخذ ربك من آدم ... وعلى هذا الأساس فأن مفاد هذه الآية هو غير ما هو معروف عند المفسرين الذاهبين الى ان الذرية اخذت من ظهر آدم فحسب .

٤- تصرح الآية بأن اللّه اخذنا شهداء على أنفسنا، وأننا جميعاً اعترفنا بأنه الهنا، وان هذا الأعتراف كان بحيث لم يبق من ذكراها في ذاكرتنا شئ .

٥- كما تفيد الآية بأن هذا الأستيثاق والأستشهاد سيسد باب العذر في يوم القيامة في وجه المبطلين والمشركين، فلايحق لهم بأن يدعوا بأنهم لم يعطوا مثل هذه الشهادة، ولم يكن عندهم علم بمثل هذا الميثاق والأعتراف كما يشهد به قوله سبحانه ﴿ أوتقولوا: انما أشرك آباؤنا من قبل ....الخ ﴾ .
فمن جانب لم يك عندنا أي علم بهذا الميثاق والأعتراف، ومن جانب آخر لايحق لنا أن ندعي الغفلة عن هذا الميثاق، وعن مثل هذا الأقرار كما تقول الآية ﴿ أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ ، أي أن لاتقولوا ... [٢٧] .
في هذه الصورة ينطرح هذا السؤال: كيف يمكن أن يسد اقرار لانعلم به أبداً (باب العذر) علينا ؟
وكيف يمكن أن نلزم بميثاق لانتذكره وعهد لانعرف عنه شيئاً ؟

وبعبارة أخرى: اننا – لاشك– لانعلم مثل هذا الميثاق على نحو العلم الحصولي، في حين أن الآية: ١٧٢ تقول بمنتهى الصراحة والتأكيد: أنه لاحق لأحد أن يغفل أو يتغافل عن هذا الميثاق ... فكيف تتلاءم هذه الغفلة وعدم تذكرنا له في هذه الدنيا مع قوله تعالى ﴿ أن لاتقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ﴾ .

٦– لاشك أن الخطاب في هذه الآية أما موجه الى النبي (ص) وأما الى عامة البشر .

وحتى لو كان صدر الآية موجهاً الى النبي (ص) إلا أن ذيلها – لاريب موجه الى عامة البشر .

ان القرآن يريد بهذا الخطاب أن يلفت أنظارنا الى حادث حدث قبل الخطاب لاحينه ولابعده بدليل مجئ (اذ) في مطلع الآية .

ف (اذ) تستعمل فيما اذا كان ظرف الحادثة هو الماضي، ومعناها (واذكر اذ) وقعت هذه الحادثة في الماضي[٢٨] .

فهل في هذه الآية الكريمة (آية الذر) مايدل على وقوع هذا الحدث العظيم في غابر الدهر ؟ وكيف تستطيع عقولنا فهمه وقبوله إن ثبت خبرهُ وصحَّ وقوعُه ؟

إن المرجع الأول لنا في تلمُّس الجواب على هذين السؤالين كتب التفسير والحديث، لأنها المعنيَّة قبل غيرها بهذه المسائل والمشاكل، وعندما نلجأ الى هذين المرجعين نجد أنَّ المفسرين قد اختلفوا في تفسير هذه الآية تبعاً لإختلافهم في المنهج والطريقة، فذهب ذوو المنهج النقلي

من السلف الى تفسيرها في ضوء النقل ومانطق به، واختار ذوو المنهج العقلي في تفسيرها طريق العقل ومارجح لديه، وسلك بعض المعاصرين طريقاً ظنه وسطاً بين الطرق بأمل التوفيق والتقريب بين هذين الخطين المتوازيين أو المتقابلين .

وسنستعرض كل هذه الأقوال في المسألة قبل أن ندلي بدلونا فيها، ليكون القارئ على بينة من الأمر.

الباب الثاني

الفصل الثاني

التفسير النقلي
لـــ عالم الذر

ولقد تبنّى هذا الجانب عدد من رجال الحديث والتفسير، حيث كان رأيهم في (عالم الذر) منسجماً مع منهجهم القائم على التعبد بكل ماورد في النقل وبكل مادلَّ عليه ظاهر اللفظ ومنطوق النص ، بعيداً عن أي تدقيق في سند النقل، وأي تأويل أوتخريج أوتوجيه للفظ المستعمل فيه.

وكان من جملة العلماء البارزين في الالتزام بهذا المنهج في تفسير الآية المشار اليها كلٌّ من :-

أ- الإمام احمد بن حنبل الذي أخرج بسنده عن الخليفة عمر بن الخطاب قوله في الآية: ﴿ سمعت رسول الله (ص) سُئل عنها فقال: ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه واستخرج منه ذرية ...الخ﴾[٢٩].

ب- الشيخ محمد بن جرير الطبري الذي اخرج بسنده عن عبدالله بن عباس قوله: (ان الله خلق آدم ثم اخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم: مَنْ ربُّكم ؟ قالوا: الله ربنا، ثم أعادهم في صلبه حتى يولد كل من أُخِذَ ميثاقه لايزاد فيهم ولاينقص منهم الى ان تقوم الساعة) [٣٠] .

ت- الشيخ محمد بن يعقوب الكليني الذي أخرج بسنده عن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام قوله:

﴿ان الله عزوجل لما اخرج ذرية آدم من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له وبالنبوة لكل نبي، فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته محمد بن عبد الله (ص) ثم قال الله عزوجل لآدم: أنظر ماذا ترى ؟ قال: فنظر آدم عليه السلام الى ذريته وهم ذَرٌّ قد ملأوا السماء قال آدم: يارب ما أكثر ذريتي ...الخ ﴾ [٣١] .

وهكذا كان النقليون صريحين في اخضاع تفسير هذه الآية لمنهجهم النقلي الصارم القائم على سرد الروايات الواردة في هذا الشأن، حتى أن الطبري لم يجد مزيد حاجةٍ الى التدقيق والتفصيل بعد استشهاده بتلك الأخبار، وانما اكتفى بالقول: (يقول تعالى ذكرُهُ لنبيه محمد (ص): واذكر يامحمد ربَّك اذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك واقرارهم به) [٣٢] .

– وقد زاد الفخر الرازي على من سبقه في تأكيد ذلك فشرح وجهة نظر النقليين باسهاب واستعرض أدلتهم وبراهينهم بالتفصيل، وكان مماقاله في هذا الصدد:

(مذهب المفسرين وأهل الأثر ما روى مسلم بن يسار الجهني: ان عمر سُئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله (ص) سُئل عنها فقال: ان الله سبحانه وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملن، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقتُ هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يارسول الله ففيم العمل ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عملٍ من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة، واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من اعمال أهل النار فيدخله الله النار) .

– وعن ابي هريرة قال: قال رسول الله (ص): لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيامة).

– وقال مقاتل: (ان الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر تتحرك، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: ياآدم هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ألستُ بربكم ؟ قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولاأُبالي وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ، ثم أعادهم جميعاً في صلب آدم) [٣٣] .

– وروى الفخر الرازي عن المتحمسين لهذا الرأي قولهم (صحت الرواية عن رسول الله (ص) انه فسرَّ هذه الآية بهذا الوجه ، والطعن في تفسير رسول الله غير ممكن) [٣٤] .

ثم يبدي الرازي رأيه في الموضوع بعد مناقشةٍ طويلة وعرضٍ للأقوال الأخرى فيقول: (ثبت اخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر، وعلى هذا التقدير فلا منافاة بين الأمرين ولا مدافعة، فوجب المصير اليهما معاً، صوناً للآية والخبر عن الطعن بقدر الإمكان) [٣٥] .

– أمّا الشيخ المجلسي فيقف من الأخبار موقف المصدِّق المتحيرِّ، وفي ذلك يقول: (اعلم ان اخبار هذا الباب من متشابهات الأخبار ومعضلات الأثار ... وإنّا نؤمن بها مجملاً ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها)[٣٦].

انتقادات العلماء على هذا التفسير : –

– رد الشريف المرتضى على التفسير النقلي فيقول:

(قد ظن بعض من لابصيرة له ولافطنة عنده ان تأويل هذه الآية ان الله تعالى استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته، وهم في خلق الذر، فقررهم بمعرفته وأشهدهم على نفسه .

وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله، مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه ، لأن الله تعالى قال: ﴿ واذ أخذ ربك من بني آدم ﴾ ولم يقل: من آدم، وقال: ﴿ من ظهورهم ﴾ ولم يقل: من ظهره، وقال: ﴿ ذريتهم ﴾ ولم يقل: ذريته .

ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيامة انهم كانوا عن ذلك غافلين، او يعتذروا بشرك آبائهم وأنهم نشأوا على دينهم وسنتهم، وهذا يقتضي أن الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصلبه وأنها انما تناولت من كان له آباء مشركون، وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية بني آدم. فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم).

وكذلك يقول – والقول لايزال للشريف المرتضى – فأما شهادة العقول فمن حيث لاتخلو هذه الذرية التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام فخوطبت وقررت: من أن تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف ، أو لا تكون كذلك. فأن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وانشائهم واكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال، وما قرروا به واستشهدوا عليه، لأن العاقل لاينسى ماجرى هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان .... على أن تجويز النسيان عليهم ينقض

الغرض في الآية، وذلك أن الله تعالى أخبر بأنه انما قررهم وأشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك .... فأذا جاز نسيانهم له عاد الأمر الى سقوط الحجة وزوالها .

وان كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم واشهادهم وصارذلك عبثاً قبيحاً، يتعالى الله عنه[٣٧].

– ويعلق الشيخ الطوسي على أقوال النقليين تعليقاً مفصلاً يقول في أثنائه: (فأما ما روي ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم وهم كالذر، فأن ذلك غير جائز، لأن الأطفال فضلاً عمن هو كالذر لاحجة عليهم ولايحسن خطابهم بما يتعلق بالتكليف. ويدل على فساد قولهم قوله تعالى: ﴿ وَاللّهُ أخرَجَكُمْ مِن بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لاتَعلَمُون شَيئاً ﴾ النحل: ٧٨ ، فهم لو كانوا أخرجوا من ظهر آدم على صورة الذر كانوا أبعد من أن يعلموا أويعقلوا) [٣٨] .

– ويعلق الشيخ الطبرسي – ثم يقول: (ورووا في ذلك آثاراً بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة يجعلونها تأويلاً للآية .... ورد المحققون هذا التأويل) [٣٩] .

– ويجمل الشيخ فخر الدين الطريحي الكلام في ذلك كله فيقول: (ان حديث أخذ الميثاق على العباد مشهور بين الفريقين، إلا ان بعض العلماء من كل منهما جد في الهرب عن ظاهره، لما يرد عليه) [٤٠] .

– اذا كان قد أخذ هذا الميثاق من بني آدم وهم في كامل وعيهم فلماذا لايتذكره أحد منا ؟

وأجيب عن هذا الإشكال بأن ماهو منسي ومغفول عنه هو (وقت هذا الميثاق والإقرار) وليس نفس الميثاق والإقرار والإعتراف، بدليل ما يجده كل انسان في ذاته من – ميل فطري – الى الاذعان بوجود الله وربوبيته، ولاشك ان هذا هو امتداد طبيعي لذلك الاقرار المأخوذ في عالم الذر .

لكن هذا الجواب ليس بوجيه جداً كما تصور أصحابه، لأنه ليس من المعلوم أن مانجده من – الميل الفطري – الى الله في ذواتنا يرتبط حتماً بمثل ذلك الميثاق .. بل ربما يكون نتيجة (فطرية وجود الله وربوبيته) وبداهتهما .

وما يقال من أن الفاصل الزمني الطويل هو الذي كان سبباً لنسيان الميثاق المذكور ليس بصحيح كما يظهر. لأن طول هذا الفاصل لاشك أقل – بكثير– من طول الفاصل الزمني بين الإنسان في الدنيا ويوم القيامة على حين نجد أن الإنسان لاينسى ماشاهده من حوادث في الدنيا فهاهم أهل الجنة – يقولون لأهل النار: ﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَاوَعَدَنا رَبُّنا حَقاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّاوَعَدَ ربُّكُمْ حَقاً ؟ قالُوا: نَعَمْ ﴾ الأعراف: ٤٤ .

– ان هذا التفسير يؤول الى نوع من القول بالتناسخ الذي بطلانه من ضروريات الدين لأنه يعني – على أساس هذه النظرية – أن الأنسان أتى الى هذه الدنيا قبل ذلك ، ثم بعد العيش القصير ارتحل ثم عاد بصورة تدريجية الى هذه الدنيا مرة ثانية ... وهو التناسخ الذي أبطله المحققون والعلماء المسلمون [٤١] .

يبقى هنا سؤال وهو: اذا كان هذا التفسير يواجه تلك الإنتقادات ويعاني من هذا القصور فما هو مصير الأحاديث والروايات التي تسند هذا التفسير ؟

- **تفسير نقلي آخر:** يحمل بعض المفسرين (وعلى رأسهم: الرماني وابو مسلم وفريق آخر) هذه الآية على: التوحيد الفطري، ويفسرونها بهذا التفسير.

فهم يقولون: يحط الإنسان قدميه في هذه الدنيا، وهو ينطوي على سلسلة من الغرائز والاستعدادات، وسلسلة من الحاجات الطبيعية والفطرية الى جانب سلسلة من المدركات العقلية .

فهو - أي الإنسان - عند نزوله من صلب أبيه الى رحم أمه، وعند انعقاد نطفته لايكون اكثر من ذرة، ولكن هذه الذرة تنطوي على استعدادات وقابليات جديرة بالاهتمام .... ومن جملة تلكم الاستعدادات هي قابليته لمعرفة الله التي تنمو وتتكامل مع تكامل هذه الذرة وجنباً الى جنب مع تكامل سائر استعداداته الأخرى حتى تنتقل في المآل من مرحلة القوة الى مرحلة الفعلية والكمال .

وبعبارة اخرى: فأن الانسان يولد وقد أودعت في كيانه غريزة معرفة الله والتوجه الى ماوراء الطبيعة بشكل سر الهي مزروع في أعماق البشر بحيث لولم تنله يد خارجية لنمت غريزة الميل الى معرفة الله في فؤاد الانسان ولما انحرف عن جادة التوحيد مطلقاً الى درجة أن علماء النفس اعتبروا (الشعور الديني) هذا أحد ابعاد الروح الإنسانية ووصفوه

بمثل هذا البعد، اذ قال احدهم في تعريف الانسان بأنه (حيوان ميتافيزيقي) .

وفي الحقيقة ان هذا الشعور الديني الغريزي رسم في ضمير الإنسان بقلم التكوين على غرار بقية الغرائز والاحاسيس الموجودة في الانسان وهي – أي غريزة الشعور الديني – تنمو وتتضج مع نمو الإنسان وتكامله .

وبعبارة – ثالثة – فأن الله أخرج أبناء الانسان من ظهور آبائهم الى بطون امهاتهم وقد جعل تكوينهم بنحو خاص بحيث يعرفون ربهم دائماً، ويحسون باحتياجهم اليه تعالى .

وعندما يحس الانسان باحتياجه الى الله ، ويجد نفسه غارقاً في التوجه اليه سبحانه فساعتئذ يكون وكأنه يقال له: ألست بربكم فيقول البشر: بلى أنت ربي[٤٢] .

خلاصة القول: ان الإنسان خلق مؤمناً بالله بمقتضى الفطرة الإلهية السليمة الموهوبة له، وسيظل بمعونة العقل الهادي الى الله يبحث عن (الله) ويطلبه ويسأل عنه، ويظل يواصل هذه المسيرة مالم يعقه عائق ولم يمنعه مانع .

وعلى هذا فان الميثاق المذكور في الآية لم يكن ميثاقاً تشريعياً وعلى نحو الخطاب والجواب اللفظيين، بل هو ميثاق تكويني فطري، وجوابه – كذلك – تكويني فطري .

على أن مثل هذا النوع من الحوار والاستيثاق شائع جداً في القرآن الكريم وكذا في محاورتنا اليومية. ففي المثل يقال: ان الله أعطانا البصر وأخذ منا الميثاق بأن لانسقط في البئر .

أو كما يقال: ان الله أعطانا العقل وأخذ منا الميثاق بأن نميز به الحق عن الباطل .

ويقول القرآن الكريم حول السماوات والأرض: ﴿ فَقالَ لَها وَلِلأرضِ ائتيا طَوعاً أَوكَرْهاً ، قَالَتا أَ تَيْنا طَائعينَ ﴾ . فصلت: ١١

وهذا النوع من الكلام وتوجيه الخطاب الى السماوات والأرض الفاقدة للشعور والإدراك والعقل ليس إلا عن طريق التكوين .... فيكون معنى هذه الآية هو أن السماء والأرض خاضعتين – تكويناً – لمشيئة الله وإرادته، وأنهما تجريان وفق سننه التي شاءها لهما.

ونقل من بعض بلغاء العرب وخطبائهم مقالاً من هذا القبيل اذ قال:

(سل الأرض من شقَ أنهارك وغرسَ اشجاركِ ، وأينع ثمارك فان لم تجبك حواراً أجابتكَ اعتباراً) (٤٣) .

ولهذا الرأي شاهد قرآني وحديثي:-

– **أما الشاهد القرآني:** فهو قوله سبحانه ﴿ فِطْرَت اللَّهِ التي فَطَرَ النّاسَ عَليها ﴾ الروم: ٣٠ ، الذي يمكن أن يكون مبيناً لهذه الآية .

وغاية التفاوت مابين الآيتين هي: أن آية ﴿ فطرت الله ....﴾ تقول باجمال: أن الشعور الديني عجن بفطرة البشر وخلقته من دون أن تعين الآية زماناً، في حين أن الآية – المبحوثة هنا – تتحدث عن تحقق هذا

السر الإلهي في كيان الإنسان في بدء تكوينه وظهوره، أي أن الإنسان كان ينطوي فطرياً وتكوينياً على هذا السر الإلهي منذ أن كان موجوداً ذرياً صغيراً في رحم امه .... وكأن أولى خلية انسانية تستقر في رحم الأم تنطوي على هذه الوديعة الإلهية وهي غريزة الميل والانجذاب الى الله .

– **وأما الشاهد الحديثي:** ما جاء في حديث معتبر السند من أن عبدالله بن سنان يقول سألت أبا عبدالله – الصادق (ع) – عما هو المقصود من الفطرة ؟ فقال (ع): ﴿ هي الإسلام فطرهم الله عليه حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: ألست بربكم ؟ قالوا: بلى ﴾ (٤٤) .

– وان للشريف الرضي كلاماً لعله يشير الى أنه اختار هذا التفسير اذ قال: (انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته، ووجوب عبادته، وأراهم العبر والآيات، والدلائل في انفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته – على الوجه الذي أراده الله تعالى وتعذر أمتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته – بمنزلة المقر المعترف وان لم يك هناك اشهاد ولااعتراف على الحقيقة، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ استَوَى إِلى السَّماءِ وهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وللأرضِ ائتِيا طَوعاً أو كَرْهاً قالتا أتينا طَائِعينَ ﴾ فصلت: ١١

وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولامنهم جواب، ومثله قوله تعالى ﴿ شَاهدينَ على أَنفُسِهِم بِالْكُفرِ ﴾ التوبة: ١٧

ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم وانما لما ظهر منهم ظهوراً لايتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولتهم: (جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك) [٤٥] .

– ثم ان السيد شرف الدين ممن ذهب الى هذا المذهب اذ قال رحمه الله: (واذكر يامحمد للناس ماقد وثقوا الله عليه بلسان حالهم التكويني من الإيمان بالله والشهادة له بالربوبية وذلك (اذ أخذ ربك) أي حيث اخذ ربك جل سلطانه (من بني آدم) أي (من ظهورهم ذريتهم) فاخرجها من اصلاب آبائهم نطفاً فجعلها في قرار مكين من أرحام امهاتهم ثم جعل النطف علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً ثم كسا العظام لحماً ثم انشأ كلاً منهم خلقاً سوياً قوياً في احسن تقويم سميعاً بصيراً ناطقاً عاقلاً مفكراً مدبراً عالماً عاملاً كاملاً ذا حواس ومشاعر واعضاء ادهشت الحكماء، وذا مواهب عظيمة وبصائر نيرة تميز بين الصحيح والفاسد واحسن والقبيح وتفرق بين الحق والباطل فيدرك بها آلاء الله في ملكوته وآيات صنعه جل وعلا في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار ... وبذلك وجب ان يكونوا على بينة قاطعة بربوبيته، مانعة عن الجحود بوحدانيته فكأنه تبارك وتعالى اذ خلقهم على هذه الكيفية قررهم (واشهدهم على انفسهم) فقال لهم: ﴿ ألست بربكم ﴾

وكأنهم (قالوا بلى شهدنا) على انفسنا لك بالربوبية .... نزولاً على ماقد حكمت به عقولنا وجزمت به بصائرنا حيث ظهر لديها امرك .... فلا اله الا انت خلقتنا من تراب ثم اخرجتنا من الاصلاب فلك الحمد اقراراً بربوبيتك ...

ثم يقول رحمه الله: هذا كله من مرامي الآية الكريمة وانما جاءت على سبيل التمثيل والتصوير تقريباً للاذهان الى الإيمان وتفننا في البيان والبرهان وذلك مما تعلوا به البلاغة فتبلغ حد الاعجاز .... الا ترى كيف جعل الله نفسه في هذه الآية بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وجعلهم بسبب مشاهدتهم تلك الايات وظهورها في انفسهم بمنزلة المعترف الشاهد وان لم يكن هناك شهادة واشهاد . وباب التمثيل واسع في كلام العرب ولاسيما في الكتاب والسنة [٤٦] .

انتقادات على هذا التفسير: هذا التفسير وان كان أفضل من سابقه إلا أنه رغم ذلك لايخلو من نقود واشكالات نذكر منها:

أ- أن ظاهر الآية المبحوثة هنا حاك عن أن حادثة أخذ الميثاق قد تحققت في الزمن السابق بدليل قوله (واذ اخذ) ولفظة (اذ) تستعمل في الماضي، واذا ما اتفق أن استعملت في المستقبل كان ذلك تجوزاً ولعناية خاصة اقتضاها المقام مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قالَ اللهُ ياعيسَى بْنَ مَريَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ للناسِ اتَّخِذُوني وَأُمي إِلهين مِن دُونِ اللهِ ﴾ المائدة: ١١٦

فأن من المسلم أن الباري تعالى لم يقل هذا الكلام لعيسى بن مريم في الماضي، وانما سيقوله له في المستقبل (أي في يوم القيامة) ... ويسوغ استعمال (اذ) و(قال) في المستقبل كون هذا المستقبل محقق الوقوع فيكون كالماضي. وعلى كل حال فان ظرف توجه هذا الخطاب القرآني الى النبي (ص) أو الى المسلمين أو الى عامة البشر هو ظرف نزول

القرآن، ولكن – ظرف وقوع – أخذ الميثاق هو الماضي ولذا جاءت الآية مبتدئة بـــ (اذ) الذي هو بمعنى (واذكر اذ) .

فأذا كانت الآية ناظرة الى (خلقة الإنسان وتكوينه مع الإستعدادات) القابلة لهدايته الى الله، كما يقوله التفسير هذا – ففي هذه الصورة يكون ظرف هذا الحادث وظرف الخطاب واحداً، وهذا خلاف ظاهر الآية حيث يفيد تعدد ظرفي اخذ الميثاق، والخطاب .

ب– اذا كان هدف الآية هو بيان ان الإنسان خلق مع سلسة من القابليات الفطرية والعقلية التي تهديه الى الله ففي هذه الصورة لماذا يقول الله: (واشهدهم على أنفسهم)، في حين كان المناسب ان يقول: (فعرف نفسه لهم) .

ولماذا قالوا في آية اخرى: (بلى شهدنا) وكان الأحرى ان يقولوا: (بلى عرفناك) .

ت– ان تفسير قول الله تعالى ﴿ ألست بربكم قالوا: بلى ﴾ بالخطاب والجواب – التكوينيين – وان كان صحيحاً في حد ذاته إلا أنه خلاف الظاهر قطعاً ... اذ أن ظاهر الآية هو الخطاب والجواب (التشريعيين) . ومعلوم أن الآخذ بما هو خلاف الظاهر لايصح مالم يدل عليه دليل، ومالم يصرفنا عن الاخذ بالظاهر صارف وجيه .

ث– هذا التفسير– أعني أخذ الميثاق بمعنى خلق الإنسان مع قابليات فطرية وعقلية تهديه الى الله– بيان ملخص للتوحيد الفطري والاستدلالي. ولو كان هذا هو هدف القرآن من هذه الآية لتعين عليه أن يبين ذلك بعبارة أوضح .

الباب الثاني

الفصل الثالث

التفسير العقلي
لـــ عالم الذر

أما موقف ذوي المنهج العقلي من هذه المسألة (ومن رجال المدرسة العقلية الشيخ المفيد والشريف المرتضى والشيخ الطوسي) فهو موقف منسجم كل الأنسجام مع أسلوبهم وطريقتهم في تفسير كلام الله تعالى، وقد اتفقوا بصراحة مطلقة على نفي وقوع الكلام والإشهاد – بمعناها الحقيقي– في علم الذر، وعدِّ ذلك كله مجازاً وتوسُّعاً في الاستعمال البلاغي والتمثيل الفني الأدبي، ولكنهم اختلفوا في وقوع عالم الذر وعدمه فكانوا فريقين:

– **الفريق الأول:** هم المعتزلة، ويكفينا من أفذاذهم الزمخشري الذي لم يشر الى وقوع عالم الذر في تفسيره، بل قال في ذلك مانصه: (معنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم: اخراجهم من أصلابهم نسلاً واشهادهم على انفسهم، وقوله: ألست بربكم قالوا بلى شهدنا – من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك انه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركَّبها فيهم وجعلها مميِّزة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم: ألست بربكم. وكأنهم: قالوا بلى. انت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك. وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام وفي كلام العرب، ونظيره قوله تعالى: ﴿ إنما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾

﴿ فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أئتينا طائعين ﴾ [٤٧] .

– **الفريق الثاني:** هم الشيعة الإمامية، وقد نفى أحد أعلامهم وهو الشيخ المفيد وقوع الكلام والاشهاد على ظاهره الذي قال به النقليون وان كان

لم ينف اخراج الذرية بالمعنى المجازي، وفي ذلك يقول: (فأما الحديث في اخراج الذرية من صلب آدم (ع) على صورة الذرِّ فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف الفاظه ومعانيه، والصحيح أنه أخرج الذرية من ظهره كالذر فملأ بهم الأفق ... فلما رآهم آدم (ع) عجب من كثرتهم .... فأنبأه الله تعالى بما يكون من ولده، وشبههم بالذر الذي أخرجه من ظهره وجعله علامة على كثرة ولده) .

(فأما الأخبار التي جاءت بأن ذرية آدم (ع) استُنْطِقوا في الذر فنطقوا فأخذ عليهم العَهْدَ فأقروا، فهي من أخبار التناسخية، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحق بالباطل . والمعتمد من اخراج الذرية ماذكرناه دون ماعداه ..... وانما هو تخليط لايثبت به أثر على ما وصفناه) .

فإنْ تعلَّق متعلِّق بقوله تبارك اسمه: ﴿ واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم .....﴾ فظن بظاهر هذا القول تحقق مارواه أهل التناسخ والحشوية والعامة في انطاق الذرية وخطابهم وانهم كانوا احياء ناطقين .

فالجواب عنه: ان لهذه الآية من المجاز في اللغة كنظائرها مما هو مجاز واستعارة، والمعنى فيها: ان الله تبارك وتعالى أخذ من كل مكلف يخرج من ظهر آدم وظهور ذريته العهد عليه بربوبيته، من حيث أكمل عقله ودله بآثار الصنعة على حدوثه وان له محدثاً أحدثه لايشبهه، يستحق العبادة منه بنعمه عليه، فذلك هو أخذ العهد منهم وآثار الصنعة فيهم والاشهاد لهم على انفسهم بأن الله تعالى ربهم. وقوله تعالى:

(قالوا بلى) يريد به انهم لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم ودلائل حدوثهم اللازمة لهم وحجة العقل عليهم في اثبات صانعهم، فكأنه سبحانه لما ألزمهم الحجة بعقولهم على حدوثهم ووجد محدثهم قال لهم: (ألست بربكم) فلما لم يقدروا على الإمتناع من لزوم دلائل الحدوث لهم كانوا كقائلين: (بلى شهدنا) وقوله تعالى: ﴿ أن تَقولوا يَومَ القيامةِ إنا كُنا عَن هَذا غَافلينَ، أَو تقولوا إنما أشرك آباؤنا مِن قَبلُ وَكُنا ذُريةً مِن بَعدِهِم أفتهلكنا بما فَعلَ المُبطِلُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٢، ١٧٣. ألا ترى أنه احتج عليهم بما لايقدرون يوم القيامة أن يتأولوا في انكاره ولايستطيعون .

وقد قال سبحانه: ﴿ وَالشَّمسُ وَالقَمَرُ وَالنجومُ وَالجبالُ وَالشَّجرُ وَالدوابُ وَكثيرٌ مِن النَّاسِ وَكثيرٌ حَقَّ عَليهِ العَذا بُ ﴾ الحج: ١٨ ، ولم يرد أن المذكور يسجد كسجود البشر في الصلاة، وانما أراد به: غير ممتنع من فعل الله فهو كالمطيع لله وهو معبر عنه بالساجد، قال الشاعر:

بجمعٍ تظل البلق في حجراته

ترى الأكم فيها سُجداً للحوافِر

يريد: ان الحوافر تذل الأكم بوطئها عليها .

وقوله تعالى: ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا: أتينا طائعين ﴾ وهو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام، ولا السماء قالت قولاً مسموعاً، وانما أراد أنه عمد الى السماء فخلقها ولم يتعذر عليه صنعها، فكأنه لما خلقها قال لها وللأرض (ائتيا طوعاً أو كرهاً)، فلما تعلقتا بقدرته كانتا كالقائل: (أتينا طائعين).

وكمثل قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقولُ لِجَهَنَّمَ هل امتلأتِ وَتقولُ هل مِن مَّزِيدٍ ﴾ ق: ٣٠ ، والله تعالى يجل عن خطاب النار وهي مما لايعقل ولايتكلم، وانما الخبر عن سعتها وانها لاتضيق بمن يحلها من المعاقبين، وذلك كله على مذهب اهل اللغة وعادتهم في المجاز. ألا ترى الى قول الشاعر:

وقالت له العينان: سمعاً وطاعة

وأسبلتا كالدر ما لم يثــقب

والعينان لم تقولا قولاً مسموعاً ، ولكنه أراد منهما البكاء فكانتا كما أراد من غير تعذر عليه. ومثله قول عنترة:

فآزورَّ من وَقَعْ القنا بِلَبَانِه

وشكا إليَّ بعبرةٍ وتَحَمْحُمِ

والفرس لايشتكي قولاً، لكنه ظهر منه علامة الخوف والجزع، فسمى ذلك قولاً. ومنه قول الآخر: شكا إِليَّ جَمَلي طول السَّرى .

والجمل لايتكلم، لكنه لما ظهر منه النصب والوصب لطول السرى عبر عن هذه العلامة بالشكوى التي تكون كالنطق والكلام، ومنه قولهم ايضاً:

امتلأ الحوض وقال: قَطْني

حسبك مني قد ملأت بطني

والحوض لم يقل قطني، لكنه لما امتلأ بالماء عبر عنه بأنه قال: حسبي.

ولذلك أمثال كثيرة في منثور كلام العرب ومنظومة، وهو من الشواهد على ماذكرناه في تأويل الآية [٤٨] .

نقد الشيخ المجلسي للتفسير العقلي: يغضب الشيخ المجلسي أشد الغضب من ذوي المنهج العقلي في موقفهم من هذه الآية وتأويل معناها في ضوء منهجهم ، فيقول :(طَرْحُ ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جرأةٌ على الله وعلى أئمة الدين) [٤٩] .

– **تفسير الرازي:** وهو الذي رواه الفخر الرازي ولم يسم قائله، وقد جاء فيه: (ان الأرواح البشرية موجودة قبل الأبدان، والأقرار بوجود الإِله من لوازم ذواتها وحقائقها، وهذا العلم ليس يحتاج في تحصيله الى كسب وطلب. وهذا البحث انما ينكشف تمام الانكشاف بأبحاث عقلية غامضة لايمكن ذكرها في هذا الكتاب) [٥٠] .

نقد هذا التفسير: وقد رفض هذا التفسير عدد من المحققين العقليين، وفي مقدمتهم الشيخ المفيد، الذي أشار اليه مفنداً خلال مناقشته لمسألة خلق الأرواح قبل الأبدان، وكان مما قاله في هذا الصدد: (أما الخبر بأن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فهو من اخبار الآحاد، وقد روته العامة والخاصة. وان ثبت (القول فالمعنى فيه ان الله تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد، واخترع الأجساد

واخترع لها الأرواح، فالخلق للأرواح قبل الأجسام خلق تقدير في العلم وليس بخلق لذواتها .... ولولا ان ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها ولا تحتاج الى آلات لعلمها، ولكنها نعرف ماسلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجساد كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد، وهذا محال لاخفاء بفساده) [٥١] .

ويقول الشيخ المفيد أيضاً: (وأما الحديث بأن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالمعنى فيه أن الأرواح التي هي الجواهر البسائط تتناصر بالجنس وتتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتفاق الرأي والهوى ائتلف وماتناكر منها بمباينة في الرأي والهوى اختلف، وهذا موجود حساً ومشاهد. وليس المراد بذلك أن ماتعارف منها في الذر ائتلف، كما يذهب اليه الحشوية) [٥٢] .

واذن فليس في هذا القول الذي رواه الرازي أي مرجح منطقي يبعث على الرضا والقبول، ولن يصلح أن يكون مخرجاً من المأزق الفكري الذي سقط فيه النقليون .

- **تفسير الشريف المرتضى:** ويظهر هذا التفسير من الشريف المرتضى في أماليه واليك نص ما قاله الشريف بلفظه [٥٣]: (ان الله تعالى انما عنى جماعة من ذرية بني آدم خلقهم وبلغهم واكمل عقولهم وقررهم على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته، فأقروا بذلك وأشهدهم على أنفسهم به لئلا يقولوا يوم القيامة ﴿ انا كنا عن هذا غافلين ﴾ أو يعتذروا بشرك آبائهم .

وحاصل هذا الكلام وتوضيحه ان الله تعالى أخذ الاعتراف من جماعة خاصة، من البشر، وهم العقلاء الكاملون، لا من جميع البشر .

وقد أخذ هذا الاعتراف والميثاق حيث أخذ بواسطة الرسل والانبياء الذين ابتعثهم الله الى البشرية في هذه الدنيا .

وهذا التفسير مبني على كون (من) في قوله سبحانه (من بني آدم) تبعيضية لابيانية، ولأجل ذلك يختص بالمقتدين بالانبياء .

ويمكن تأييد هذا التفسير بأن النبي (ص) قد أخذ منهم الاعتراف في بعض المواضع على اختصاصه تعالى بالربوبية كما يحدثنا القرآن الكريم اذ يقول: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَماواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرشِ العَظيمِ ، سَيَقولونَ : لِلّهِ ، قُلْ أفلا تَتقونَ ﴾ المؤمنون: ٨٦ ، ٨٧ . ومايشابهها من الآيات الى اخذ فيها الاعتراف من الاشخاص .

نقد هذا التفسير: يقول الشيخ السبحاني: ولكن ضعف هذا التفسير ظاهر، اذ مآلها ان المؤمنين بكل نبي هم الذين اعترفوا – دون سواهم – بتوحيده سبحانه .

ولو كان مقصود الآية هو هذا لكان ينبغي أن يكون التعبير عنه بغير ماورد في الآية. ثم انه يجب ان يكون تعبير القرآن عن المعاني الدقيقة بأوضح العبارات وأحسنها وأبلغها .

فلو كان مقصوده تعالى هو اعتراف جماعة خاصة ممن اقتدوا بالرسل ، بتوحيده سبحانه، لوجب ان يبين ذلك بغير ماورد في الآية من بيان [٥٤] .

- **تفسير الطبطبائي:** وهو ماذهب اليه السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤلف تفسير الميزان، حيث فسر آية الميثاق، هذه، بنحو نذكر توضيحه قبل نقل نص ماقاله حرفياً:

واليك هذا التوضيح في نقاط [٥٥]:

أ- ان الزمان ظاهرة تدريجية الظهور فأجزاء الزمان - بحكم كونه حادثاً - لاتجتمع في مكان واحد، وهذه الخاصية (ونعني بها خاصية الظهور والحدوث التدريجي والتقطيع والتفرق) لاتختص بالزمان فقط، بل تشمل كل حادث وتعم كل حادثة ظاهرة تستقر على بساط الزمن .

ب- لاشك أن حوادث العالم تنقسم (بالنسبة الينا) الى: حوادث الماضي، وحوادث الحاضر، وحوادث المستقبل .

ولكل حادث زمان ومكان خاصان، ولايمكن للانسان الذي يعيش ضمن نطاق الزمان أن يشهد كل الحوادث دفعة واحدة وفي نظرة واحدة، ولايمكن أن تجتمع كلها لديه .

ولكن الناظر الى الحوادث لو شاهدها من فوق نطاق الزمان والمكان، ونظر الى كل أجزاء الزمان على أنها ظاهرة واحدة فحينئذ ينتفي مفهوم (الماضي والحاضر والمستقبل)، ولتقريب هذا الأمر الى الذهن نشير الى بعض الامثلة التي تقرب هذه الحقيقة الى الذهن فنقول:

ت- لنفترض شخصاً جالساً في غرفة وهو ينظر من ثقب صغير جداً الى خارج تلك الغرفة وفي هذا الأثناء يمر من امام تلك الثقب (قطار إبل) ، فان من المسلم - في هذه الحالة - ان لايرى ذلك الشخص في كل لحظة إلا بعيراً واحداً ...

أما اذا صعد هذا الشخص على سطح تلك الغرفة فانه يتسنى له في هذه الحالة ان يرى كل الأبل في نظرة واحدة وفي لحظة واحدة، وليس إبلاً واحداً في كل لحظة كما كان ينظر من خلال الثقب الصغير داخل الغرفة.

ان مثل المحبوس في نطاق الزمن الناظر الى الحوادث من خلال هذا المنفذ مثل الجالس في الغرفة – في المثال المذكور – لايرى الاشياء إلا تدريجاً .

أما اذا تسنى للأنسان أن ينظر الى الحوادث من فوق هذا النطاق فأنه يمكنه حينئذٍ أن يرى كل اجزاء الشئ وحالاته في مكان واحد ودفعة واحدة لانه في مثل هذه الحالة سينظر الى الشئ من خلال المنظار الواسع .

ث– لنتصور نملة تسير فوق سجاد ملون فان هذه النملة ستشاهد في كل لحظة لوناً واحداً لااكثر لمحدودية نظرها، وصغر أفق رؤيتها .

أما الانسان حيث أنه يتمتع بنظر أوسع فأنه يرى كل ألوان ذلك السجاد والبساط دفعة واحدة .

ج– لنتصور أنفسنا ونحن جلوس في مكان ما من ضفاف النيل ننظر الى الماء ونراقب جريانه وتموجاته، فاننا لن نرى في هذه الحالة الا جانباً محدوداً من جريان هذا النهر العظيم وجانباً من مائه وتموجاته .

ولكننا عندما ننظر الى النيل من طائرة محلقة فوق ذلك النهر فاننا سنرى جانباً أعظم واكبر من مسيره ومسيله وتموجاته وتعرجاته .

من هذا البيان يتضح أن (بعد) الحوادث و(قربها) انما يصدق بالنسبة الى من يعيش ضمن نطاق الزمان، فالزمان هو الذي يقربه من الحوادث أويبعده عنها، ولكن الموجودات التي تعيش فوق الزمان والمكان فلا يصدق في حقها الفاصل الزماني أو المكاني.

ح- للانسان ولغيره من أجزاء العالم مما يعيش ضمن نطاق الزمان وجهان:

وجه بالنسبة الى الله .

ووجه بالنسبة الى الزمان .

فهي من جهة كونها مرتبطة بالله، وكون الله تعالى محيطاً بها لايكون شئ من أجزائها بغائب عن بعضها، كما لايكون الله بغائب عنها، ولاهي بغائبة عن ساحة الله ومتناول علمه ... بل كل كائنات العالم (دون أن يكون فيها ماض ومستقبل) حاضرة عنده سبحانه ..

وكيف يمكن أن تكون تلك الاشياء على غير هذا النحو ، في حين أن العالم باسره من صنعه وفعله، ولاشئ من المصنوع بغائب عن صاحبه وصانعه .

والى ذلك يشير الامام زين العابدين علي بن الحسين في دعائه قائلاً:

(كيف يخفى عليك – يالهي – ما أنت خلقته، وكيف لاتحصى ما أنت صنعته، أو كيف يغيب عنك ما أنت تدبره) [٥٦] .

ولكن هذه الموجودات من حيث كونها تعيش في بطن الزمان، وتكون مزيجة به، لذلك تبدوا في شكل حوادث متناثرة وأجزاء متفرقة

ومختلفة تتخللها فواصل زمنية .. وهنا تمنعها عوامل معينة من حضور الله عندها [٥٧] .

(لاحضورها عند الله) فيوجد بين الله وبين رؤيتها القلبية له حجاب حائل .

في هذه المحاسبة يعمد الاستاذ الطباطبائي الى تقسيم العالم الى وجهين: الباطن والظاهر .

فيكون الوجود الجمعي للعالم هو الباطن والوجود الجزئي المتفرق هو الظاهر. ويستفيد الاستاذ الطباطبائي لاثبات هذين الوجهين من بعض الآيات ويقول: ان جملة (كن فيكون) اشارة الى هذين الجانبين: الجمعي والتدريجي .

فيقول: ان لفظة (كن) اشارة الى الوجود الدفعي الجمعي للعالم خصوصاً اذا ضممنا هذا المقطع من الآية الى الآية: ﴿وَمَا أَمرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمحٍ بِالبَصَرِ﴾ القمر: ٥٠ .

بتقريب أن وحدة الامر لاتعني الا أن تتواجد كل الحوادث في مكان واحد دفعة واحدة تفرق أو تدرج وذلك بعد توجه خطاب (كن) اليها.

وجملة (فيكون) الحاكية عن التدريجية والتواجد التدريجي اشارة الى الجانب التدريجي والظهور المتفرق لهذا العالم .

من هذا البيان الذي قررناه بتوضيح وشرح منا نستنتج أن الآية المبحوثة (أي آية أخذ الميثاق) ناظرة الى حالة الوجود والحضور الجمعي الدفعي عند حضرة ذي الجلال حضوراً لاتتصور فيه غيبة، وكأن كل أبناء آدم اخذوا وجمعوا من ظهورهم آبائهم، وحضروا عند

الله، وفي هذه الحالة من الطبيعي ان يجد كل انسان ربه، ووجدانه لله تعالى دليل واضح على وجود الله وربوبيته .
ولكن استقرار الانسان ضمن نطاق الزمان وتطورات الحياة أشغله بحيث نسي نفسه وغفل عن علمه الحضوري بالله (أي علمه بالله الناشئ من حضوره بين يديه سبحانه) .

واليك فيما يلي نص ماقاله العلامة الطباطبائي في ميزانه:
(ان لكل شئ عند الله وجوداً وسيعاً غير مقدر في خزائنه، وانما يلحقه الاقدار اذا نزله الى الدنيا مثلاً: فللعالم الانساني على سعته سابق وجود عنده تعالى في خزائنه أنزله الى هذه النشأة .
واثبت بقوله ﴿ إِنَّما أَمرُهُ إِذا أَرادَ شيئاً أَن يَقولَ لَهُ كُن فَيكونُ فَسبحانَ الذي بِيدِهِ مَلكوتُ كُلِ شَئٍ ﴾ يس: ٨٢ ، ٨٣ .
﴿ وَمَا أَمرُنَا إِلا وَاحِدةٌ كَلَمحٍ بِالبَصَرِ ﴾ القمر: ٥٠ . وما يشابههما من الايات، أن هذا الوجود التدريجي الذي للاشياء ومنها الانسان هو أمر من الله يفيضه على الشئ، ويلقيه اليه بكلمة (كن) افاضة دفعية والقاء غير تدريجي فلوجود هذه الاشياء وجهان:
– وجه الى الدنيا، وحكمه أن يحصل بالخروج من القوة الى الفعل تدريجاً ومن العدم الى الوجود شيءاً فشيئاً ويظهر ناقصاً ثم لايزال يتكامل حتى يفنى ويرجع الى ربه .

– ووجه الى الله سبحانه وهي بحسب هذا الوجه امور غير تدريجيه وكل مالها فهو لها في أول وجودها من غير أن تحتمل فوق تسوقها الى الفعل .

وهذا الوجه غير الوجه السابق وان كانا وجهين لشئ واحد وحكمه غير حكمه وان كان تصوره التام يحتاج الى لطف قريحة ..

ومقتضى هذه الآيات أن للعالم الانساني على ماله من السعة وجوداً جمعياً عند الله سبحانه، وهو الذي يلي جهته تعالى ويفيضه على أفراده لايغيب فيها بعضهم عن بعض ولايغيبون فيه عن ربهم ولا هو يغيب عنهم وكيف يغيب فعل عن فاعله أو ينقطع صنع عن صانعه . وهذا هو الذي يسميه الله سبحانه بالملكوت ويقول: ﴿ وَكَذلكَ نُرِىَ إِبراهيمَ مَلَكُوتِ السَماواتِ وَالأرضِ وليكُونَ مِن المُوقِنينَ ﴾ الانعام: ٧٥ .

وأما هذا الوجه الدنيوي الذي نشاهده نحن من العالم الانساني وهو الذي يفرق بين الاحاد، ويشتت الاحوال والاعمال بتوزيعها على قطعات الزمان، وتطبيقها على مر الليالي والايام ويحجب الانسان عن ربه بصرف وجهه الى التمتعات المادية الارضية، واللذائذ الحسية فهو متفرع على الوجه السابق متأخر عنه، وموقع تلك النشأة وهذه النشأة في تفرعها عليها موقعاً (كن ويكون) في قوله تعالى: ﴿ أن يَقُولَ لَهُ: كُن فَيَكُون ﴾ يس: ٨٢

ويتبين بذلك أن هذه النشأة الانسانية الدنيوية مسبوقة بنشأة اخرى انسانية هي هي بعينها غير أن الاحاد موجودون فيها غير محجوبين عن ربهم يشاهدون فيها وحدانيته تعالى في الربوبية بمشاهدة أنفسهم

لامن طريق الاستدلال بل لانهم لاينقطعون عنه ولايفقدونه ويعترفون به وبكل حق من قبله. وأما قذارة الشرك وألواث المعاصي فهو من أحكام هذه النشأة الدنيوية دون تلك النشأة التي ليس فيها إلا فعله تعالى القائم به .

وأنت اذا تدبرت هذه الآيات ثم راجعت قوله تعالى ﴿ واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم .....الخ ﴾ وأجدت التدبر فيها وجدتها تشير الى تفصيل أمر تشير هذه الآيات الى اجماله .

فهي تشير الى (نشأة انسانية سابقة) فرق الله فيها بين أفراد هذا النوع وميز بينهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم ؟ قالوا: بلى شهدنا)[٥٨].

أسئلة حول هذا التفسير:

هناك اسئلة تفرض نفسها حول هذا التفسير، لابد من طرحها هنا لانه مالم يجب عليها باجابات قاطعة لايمكن الاعتماد على هذا التفسير:

واليك فيما يأتي بعض هذه الاسئلة:

أ- لاشك أن هذا العالم يتجلى للشخص المحيط الناظر اليه من فوق الزمان والمكان على غير ما يتجلى للمحاط الغارق في الزمان والمكان

وبعبارة أخرى: فانه يمكن أن ينظر الى هذا العالم من منظارين:

أولاً – من منظار الناظر المحيط بالزمان والمكان.

وفي هذه الصورة لاوجود (للتفرق والتشتت) بل ما يراه هو (الوجود الجمعي) للاشياء، والظواهر.

ثانياً – من منظار الناظر المحاط بالزمان والمكان.

وفي هذه الصورة لايرى الا (الوجود المتفرق المتشتت) المتناثر التدريجي لجميع الظواهر والحوادث .

ولكن هذا الاختلاف في السعة والضيق في المرأى هل هو عائد الى السعة والضيق في الرائي، ونظرة الناظر بمعنى أن في الاولى يكون لدى الرائي قدرة على النظر الواسع فيما يكون الرائي في الصورة الثانية فاقداً لهذه القدرة أم أن هذا الاختلاف يرجع الى نفس الظواهر والحوادث .

لاشك أن هذا الاختلاف لا يرتبط بذات الكون وذات الحوادث والظواهر ، بل هو مرتبط بسعة رؤية الناظر ان كان محيطاً، تلك السعة التي تمكنه من مشاهدة كل نقوش البساط والوانه وكل تموجات النهر وتعرجاته وكل عربات القطار دفعة واحدة كما في الامثلة السابقة .

في حين أن فقدان هذه السعة في رؤية الشخص الاخر يجعله لايرى في كل لحظة إلا حادثة واحدة فقط، والا تموجاً واحداً من النهر، والا لوناً واحداً من ألوان البساط .

ومن هذا البيان يتبين أنه ليس للعالم وجهان ونشأتان:

نشأة باسم الباطن .

واخرى باسم الظاهر.

وبعبارة اخرى انه ليس للظواهر والحوادث مرحلتان:

مرحلة الوجود الجمعي الدفعي.

ومرحلة الوجود التدريجي .

بل ليس للظاهرة – في الحقيقة– تحققان ووجودان انما هو وجود واحد، وتحقق واحد، يرى تارة في صورة المجتمع، واخرى في صورة المتفرق .

وأما الاختلاف– لو كان– فهو يرجع الى قدرة الملاحظ وسعة نظرته أو ضيقها، وليس الى ذات الحوادث والظواهر .

ب– ان حضور الحوادث والظواهر عند الله دليل على (علم الله) بها جميعاً لان حقيقة العلم ليست الا حضور المعلوم عند العالم وحيث أن موجودات العالم من فعله سبحانه وقائمة به فهي اذن حاضرة لديه.

ونتيجة هذا الحضور ليست سوى علم الله بها ولكن لا يدل مثل هذا الحضور على علم الموجودات هي بالخالق الواحد سبحانه .

وبعبارة اخرى لو كان هدف الآية هو بيان أن الله أخذ من بني آدم (الاقرار) بربوبيته والشهادة بها من جهة حضور هذه الموجودات لدى الله – كما يفيده هذا التفسير– يلزم علم الله بهذه الموجودات والحوادث لاعلم هذه الحوادث والموجودات بالله تعالى، فلا يتحقق معنى الشهادة والاقرار.

فانه ربما يتصور ان حضور الاشياء عند الله كما يستلزم علمه بها، كذلك يستلزم علم تلك الموجودات بالله .

ولكن هذا وهم خاطئ وتصور غير سليم لان الحضور انما يكون موجباً للعلم اذا اقترن بعلم الشئ بالله واحاطته سبحانه بذلك الشئ، ومثل هذا الملاك موجود في جانب الله حيث أنه قيوم (تقوم به الاشياء)

محيط بالكون في حين انه لايوجد هذا الملاك في جانب الموجودات، لانها محاطة وقائمة بالله (أي ليست محيطة بالله ولا أن الله سبحانه قائم بها حتى تعلم هي به تعالى) .

ت- ان هذا التوجيه والتفسير (لآية الميثاق) بعيد عن الاذهان العامة، ولايمكن اطلاق اسم التفسير عليه بل هو للتأويل أقرب منه الى التفسير.

نعم غاية مايمكن قوله هو أن هذا التفسير يكشف عن أحد ابعاد هذه الآية، لكنه ليس البعد المنحصر والوحيد .

هذا مضافاً الى أن ألفاظ هذه الآية مثل قوله [فأشهدهم على أنفسهم] ونظائره الذي هو بمعنى أخذ الشهادة والاعتراف والاقرار لايتلاءم ولاينسجم مع هذا التفسير .

الباب الثاني

الفصل الرابع

التفسير الفلسفي
لـــ عالم الذر

وهذا التفسير للشيخ محمد حسن آل ياسين، حيث يذكر في رحاب الإسلام، هذا التفسير فيقول:

هل نستطيع أن نفسر عالم الذر المشار اليه تفسيراً فلسفياً محضاً في ضوء نظرية الحركة الجوهرية التي بلور افكارها وأوضح معالمها فيلسوف الاسلام صدر الدين الشيرازي، فنذهب الى امكان عد ذلك الوجود (في عالم الذر) وجوداً حقيقياً يقصد به وجود الانسان بالقوة – وهو غير وجود الانسان الفعلي – بمعنى أن الانسان قد وجد بكل أفراده – بالقوة – بمجرد وجود الأب الأول الحامل (للحيمن) الانساني ولقانون بقاء الجنس واستمراره، وان لم يتحقق الوجود الخارجي لكل الأفراد بعد .

واذا رجح لدينا – أو صح – أن نفسر الآية الكريمة بهذا المعنى فقد استغنينا عن تفسير النقليين والعقليين، لأن التفسير النقلي قائم على الوجود الخارجي وهو مرفوض كما مر، والتفسير العقلي قائم على المجاز والتأويل ولا حاجة لنا به اذا أمكن التفسير الحقيقي للفظ . وبهذا ينحل الاشكال ويحسم الخلاف ويصبح وجود الذرية وجوداً حقيقياً ولكنه بالقوة لا بالفعل كما أسلفنا .

وما دمنا نتحدث عن مسألة (الوجود بالقوة) فان من حق الاستيعاب في البحث أن نقول:

ان هذه الفكرة الفلسفية اذا قام عليها من البرهان مايصححها او يرجحها أو يقرب قبولها الى الذهن بمعناها المار الذكر فانها – ربما ... ولا

أقطع بذلك – تستطيع أن تحل لنا ألغاز عددٍ من النصوص المعضلة المرتبطة بالخلق والوجود الانساني الأول، وهي نصوص طال فيها الأخذ والرد بين المحدثين والمفسرين وكثر فيها الجدل والتمحلات والتخريجات، ولكن بدون طائل في أكثر الأحيان .

وأورد فيما يأتي أمثلة من تلك النصوص المعضلة مرفقة بالاشارة الى ماقال الشراح والمفسرون فيها ومايمكن أن يقال في شرحها وتفسيرها على هدى فكرة الوجود بالقوة:

المثال الأول: قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقناكُم ثُمَّ صَوَّرناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ الأعراف : ١١

وللمفسرين في تفسير هذه الآية اقوال عدة:

منها: خلقنا اباكم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة، واستشهد القائلون بهذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ وَإِ ذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوقَكُمُ الطورَ ﴾ أي ميثاق اسلافكم.البقرة: ٦٣

ومنها: خلقناكم: أي خلقنا الأرواح أولاً ثم صورنا الأشباح آخراً .

ومنها: خلقناكم ثم صورناكم ثم انا نخبركم أنا قلنا للملائكة .

ومنها: خلقناكم في ظهور آبائكم ثم صورناكم في بطون امهاتكم ثم قلنا للملائكة .

ومنها: خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة .

ومنها: ان (ثم) هنا بمعنى الواو، واستشهد الاخفش – وهو صاحب هذا القول– على تفسيره هذا بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ اللهُ شَهيدٌ على ما

يَفْعَلُونَ﴾ وقوله عزوجل ﴿ ثُمَّ كانَ مِنَ الذينَ آمَنُوا ﴾ وقوله من قائل ﴿استغْفِرُوا رَبّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِليهِ ﴾ يونس: ٤٦، البلد: ١٧، هود: ٥٢

ومنها: ان في الآية تقديماً وتأخيراً، وتقديرها: خلقنا اباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا له ثم صورناكم [٥٩] .

ومنها: ان الخلق في اللغة عبارة عن التقدير ... وتقدير الله عبارة عن علمه بالأشياء ومشيئته لتخصيص كل شئ بمقداره المعين . فقوله: [خلقناكم] اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر في هذا العالم . وقوله: [صورناكم] اشارة الى انه تعالى اثبت في اللوح المحفوظ صورة كل شيء كائن محدث الى قيام الساعة ... والتصوير عبارة عن اثبات صور الأشياء في اللوح المحفوظ . ثم بعد هذين الأمرين أحدث الله تعالى آدم وأمر الملائكة بالسجود له [٦٠] .

– اذا أردنا تفسير هذه الآية بمقتضى الوجود بالقوة كان المعنى: ولقد خلقناكم بخلق آدم أي أوجدناكم جميعاً بوجود ابيكم الأول ثم صورناكم من ناحية الشكل والأعضاء والتفاصيل بالصورة التي أخرجنا بها أباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . وقد يتجلى هذا المعنى اكثر اذا علمنا بأن المفهوم من السجود هنا وفي غير هذا المقام كما في سورة البقرة – مثلاً – انه ليس سجوداً لفرد من الناس وانما هو سجود للانسانية المتمثلة في آدم عليه السلام مما لامجال لشرحه في هذه العجالة .

المثال الثاني: قوله تعالى ﴿هَلْ أَتى عَلى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيئاً مَّذكُوراً﴾ الانسان: ١ .

وللمفسرين في شرح هذه الآية اقوال متعددة: حاولوا فيها الملائمة بين [أتى على الانسان حين] الدال على الوجود و [لم يكن شيئاً مذكوراً] النافي للذكر والظهور، لأنه (غير مفهوم في الكلام أن يقال: أتى على الانسان حين قبل أن يوجد وقبل أن يكون شيئاً. واذا أريد ذلك قيل: أتى حين قبل أن يخلق، ولم يقل أتى عليه) .

واختلف المفسرون في تفسير المراد بـــ (الإنسان):

– فقال بعضهم: هو آدم بالذات .

– وقال آخرون: المقصود به كل انسان، أي الجنس الانساني بكامله، وهو الألصق بالسياق بقرينة قوله تعالى بعد هذه الآية:﴿ إِنَّا خَلَقْنا الإنسَانَ مِن نُّطفَةٍ أَمشَاجٍ ﴾ الإنسان: ٢ .

ثم اختلف المفسرون في تفسير قوله [لم يكن شيئاً مذكوراً]:

– فذهب بعض ممن فسر الانسان بآدم الى أنه قد أتى على آدم حين من الدهر – اربعون عاماً – وهو جسم مصور لم تنفخ فيه الروح، فـــ (لم يكن شيئاً مذكوراً: أي لم يكن شيئاً له نباهة ولارفعة ولاشرف، انما كان طيناً لازباً وحمأ مسنوناً) ولكنه لما كان (محكوماً عليه بأنه سينفخ فيه الروح وسيصير انساناً صح تسميته بأنه انسان).

وقال بعضهم: معناه انه (قد مضى مدد من الدهر وآدم لم يكن شيئاً يذكر في الخليقة لأنه آخر ماخلق من اصناف الخليقة) .

– وذهب بعض ممن فسر الانسان بالنوع الانساني الى أن [لم يكن شيئاً مذكوراً] بمعنى أنه لم يكن يذكره ذاكر لأنه كان معدوماً غير موجود وقال بعضهم: ان المراد بالحين مدة الحمل وانه اذا كان علقة ومضغة لم يكن شيئاً مذكوراً، وقال ثالث: ان الانسان هو النفس الناطقة وهي موجودة قبل وجود الأبدان [٦١] .

– أما اذا فسرنا هذه الآية على هدى المبدأ الفلسفي المشار اليه فقد طوينا كل هذه الخلافات، ويكون المقصود حينئذٍ ان الجنس الإنساني كله موجود بالقوة بمجرد وجود الانسان الأول، وأتى عليه حين من الدهر وهو موجود بذلك المعنى، ولكنه لم يكن شيئاً مذكوراً في الواقع الخارجي لأنه لم يخرج الى حيز التنفيذ الصوري بعد .

ولعل بعض اقوال المفسرين السالفة الذكر قد لمحت الى هذا المعنى وان لم تعبر عنه بالصراحة التامة، بل لعل في بعض الأحاديث المروية عن ائمة أهل البيت عليهم السلام ما يمكن حمله على الاشارة الى هذا المعنى ايضاً كرواية زرارة بن أعين عن الإمام الباقر عليه السلام اذ سأله عن قوله: لم يكن شيئاً مذكوراً ، قال (ع): [كان شيئاً ولم يكن مذكوراً] .

وكذلك رواية حمران بن أعين عن الباقر عليه السلام ايضاً قال:

(سألت عنه فقال (ع): [كان شيئاً مقدوراً ولم يكن مكوناً] [٦٢] .

المثال الثالث: قوله تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُميتُكُمْ ثُمَّ يُحْييكُمْ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ البقرة: ٢٨ .

وقوله تعالى ﴿ قالوا: رَبَّنا أَمَتَّنا اثْنَتَينِ وَأَحْيَيْتَنا اثْنَتَينِ فَاعتَرَفْنا بِذُنُوبِنَا ﴾ غافر : ١١ .

واختلف المفسرون في تحديد هاتين الموتتين وهاتين الحياتين على اقوال كثيرة:

منها: كنتم امواتاً معدومين قبل أن تخلقوا، فأحياكم أي خلقكم، ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم، ثم يحييكم يوم القيامة .

ومنها: كنتم امواتاً في ظهر آدم، ثم أخرجكم من ظهره كالذر، ثم يميتكم موت الدنيا، ثم يبعثكم .

ومنها: كنتم امواتاً أي نطفاً في اصلاب الرجال وارحام النساء، ثم نقلكم من الأرحام فأحياكم، ثم يميتكم بعد هذه الحياة، ثم يحييكم في القبر للمسألة، ثم يميتكم في القبر، ثم يحييكم حياة النشر الى الحشر وهي الحيلة التي ليس بعدها موت .

– ويعلق القرطبي على هذا الرأي بعد ذكره فيقول: على هذا التأويل هي ثلاث موتات وثلاث احياءات . وكونهم موتى في ظهر آدم واخراجهم من ظهره والشهادة عليهم غير كونهم نطفاً في اصلاب الرجال وارحام النساء، فعلى هذا تجيء اربع موتات واربع احياءات . وقد قيل: ان الله تعالى أوجدهم قبل خلق آدم عليه السلام كالهباء، ثم أماتهم، فيكون على هذا خمس موتات وخمس احياءات ! .

ومنها: ان الموتة الاولى مفارقة نطفة الرجل جسده الى رحم المرأة فهي ميتة من لدن فراقها جسده الى نفخ الروح فيها، ثم يحييها الله بنفخ الروح فيها ... ثم يميته الميتة الثانية بقبض الروح منه فهو في البرزخ ميت الى يوم ينفخ في الصور، فيرد في جسده روحه فيعود حياً سوياً لبعث القيامة . فذلك موتتان وحياتان .

ومنها: كنتم امواتاً: أي كنتم تراباً ونطفاً ... أي خاملين ولاذكر لكم لأنكم لم تكونوا شيئاً، فأحياكم: أي فجعلكم خلقاً سميعاً بصيراً [٦٣] .

– ويعلق الزمخشري على هذه الأقوال فيقول: فان قلت: كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جماداً وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة ؟ قلت: بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله: بلدة ميتاً، وآية لهم الأرض الميتة .. ويجوز أن يكون استعارة، لاجتماعهما في أن لا روح ولا احساس [٦٤] .

– وان فسرنا هاتين الآيتين في ضوء المنهج الذي ذكرناه كان الموت الأول فيهما بمعنى عدم الوجود الخارجي لا بمعنى العدم المطلق، وبذلك نتخلص من كل هذه التأويلات والتمحلات بما فيها تخبط الزمخشري وتردده بين أن يكون الميت هو عادم الحياة أو انه من باب الاستعارة . وحتى الأرض الميتة والبلدة الميت فان المقصود بها تلك الأرض التي فيها قوة الانبات والاستعداد لذلك، وانما صح وصفها بالموت لأنها حية وذات نبات بالقوة وان لم تكن كذلك بالفعل، أما التي ليست فيها قابلية الانبات مطلقاً فلا يقال فيها ذلك بل لايصح .

وعلى هذا يكون تسلسل المعنى في الآية كما يأتي:
(كيف تكفرون بالله وانكم لتعلمون بأنه كان قد أوجدكم بالقوة من لدن وجود مادتكم الأولى وان كنتم كالأموات بحسب الواقع الخارجي، ثم نقلكم الى عالم الحياة الفعلي بايجادكم على الأرض جيلاً بعد جيل، ثم انه سوف يميتكم عند انتهاء آجالكم في الدنيا، ثم يحييكم يوم القيامة، ثم اليه ترجعون ليثيب المطيع ويعاقب العاصي .

المثال الرابع: قوله تعالى ﴿هُوَالذي خَلَقَكُمْ مِن طينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمّىً عِندَهُ﴾ الأنعام: ٢ .
واختلف المفسرون في تفسير هذين الأجلين على اقوال:
منها: انهما: أجل الحياة الدنيا، وأجل مسمى عنده وهو أجل البعث .
ومنها: انهما: أجل الحياة وهو الوقت الذي تكون فيه الحياة، وأجل الموت وهو الوقت الذي يحدث فيه الموت. أي: أجل الحياة الى الموت، وأجل الموت الى البعث وقيام الساعة .
ومنها: أجل من مضى من الخلق، وأجل مسمى عنده: يعني آجال الباقين .
ومنها: قضى أجلاً: عنى به النوم .... وأجل مسمى عنده هو أجل موت الانسان .
ومنها: ان لكل انسان أجلين: احدهما الآجال الطبيعية، والثاني الآجال الاخترامية .
ومنها: الأجل المسمى: هو الذي وضع في ام الكتاب، وغير المسمى من الأجل: هو المكتوب فيما نسميه بلوح المحو والاثبات [٦٥] .

– ولو أردنا تفسير هذه الآية على هدى المنهج السالف الذكر لقلنا:
ان الله تعالى عندما خلق المادة الانسانية الأولى فكأنه خلق – بالقوة – جميع الخلق بلا استثناء، ولهذا صح أن يخاطب الأجيال كلها بقوله: خلقكم. ثم قضى أجلاً هو أجل الوجود بالفعل الذي سيشمل الجميع بالتدريج وعلى مرور الأزمان وتعاقب الدهور. وبقي أجل مسمى عنده هو موعد موت كل فرد من هؤلاء، وهو الذي عبر عنه بعض المفسرين بأجل موت الانسان .

المثال الخامس: قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الذي أَنشَأَكُم مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُستَوْدَعٌ ﴾ الانعام: ٩٨
واختلف المفسرون في تفسير المستقر والمستودع خلافاً كبيراً:
فقيل: المستقر في القبر، والمستودع في الحشر.
وقيل: المستودع من كان في الأصلاب، والمستقر من كان في الأرحام
وقيل: المستقر ظهر الأرض أو بطنها، والمستودع مايقابل ذلك .
وقيل: المستقر من خلق، والمستودع من لم يخلق .
وقيل: المستقر من ولد، والمستودع من هو بعد في الأصلاب والأرحام
– اما اذا فسرنا الآية في ضوء المنهج المشار اليه فان المقصود حينئذٍ:
ان الله تعالى قد خلق الخلق كلهم من نفس واحدة أي من أب أعلى واحد ، وان جميع الخلق قد وجدوا بالقوة منذ ذلك اليوم، ولكن حيث ان بعضهم قد وجد بالفعل وبعضاً لم يوجد بعد، فان منهم المستقر (أي الموجود بالفعل) ومنهم المستودع (أي الموجود بالقوة) .

الخاتمة

الخاتمة : وتتضمن مايلي:

أ- خلاصة البحث: هذه هي الأقوال والآراء التي ذكرها المحدثون والمفسرون والفلاسفة في مسألة -عالم الذر- وذكرنا جملة من التفاسير وبعد ضم بعضها الى بعض ننتهي الى ثلاثة تفاسير رئيسية:

الأول- التفسير النقلي: ويذهب الى وقوع الكلام والاشهاد بمعناها الظاهري (أي القائم على الوجود الخارجي) .

الثاني- التفسير العقلي: ويذهب الى نفي وقوع الكلام والاشهاد- بمعناها الحقيقي- في عالم الذر، وعدِّ ذلك كله مجازاً وتوسُّعاً في الاستعمال البلاغي والتمثيل الفني الأدبي .

الثالث- التفسير الفلسفي: ويذهب الى امكان عد ذلك الوجود – في عالم الذر – وجوداً حقيقياً، ويقصد به وجود الأنسان بالقوة وليس بالفعل .

ب- نتيجة البحث: إذا أردنا الترجيح والأختيار كان لامناص لنا من الأخذ بالتفسير الفلسفي، وبالتالي نستغني عن تفسير النقليين والعقليين، لأن أدلة النقليين الحديثية غير سليمة من المناقشة، طعناً في سند بعضها وتشكيكاً في دلالة البعض الآخر.

والتفسير العقلي قائم على المجاز والتأويل ولاحاجة لنا به إذا أمكن التفسير الحقيقي للفظ .

وبهذا ينحل الإشكال ويحسم الخلاف ويصبح وجود الذرية وجوداً حقيقياً ولكنه بالقوة لابالفعل .

وأظن أننا قد توصلنا الى النتيجة المطلوبة – إلى حد ما – من خلال استعراضنا للآراء المختلفة في الموضوع، ونسأل اللّه أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع بقبول حسن، وأن يسدِّد خطانا على الطريق بمنِّه، ويلهمنا الحق والصواب بفضله، ويمدنا بمزيد من عونه وتوفيقه، انه – جلَّ وعلا– خيرموفق ومعين، وأن يمن علينا برضاه ورضى صاحب العصر(عج) إنه سميع مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

الهوامش:

١- د.صالح عضَيمَة: مصطلحات قرآنية، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية- (لندن)، موضوع الإنسان، ص ٦٨ .

٢- د.عبد الهادي الفضلي: أصول البحث، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية- (لندن)، ص ٩ - ١٠ .

٣- الصحاح: مادة (أصل) .

٤- المعجم الوسيط: مادة (أصل) .

٥- الجرجاني: التعريفات، مادة (أصل) .

٦- السيد محمد تقي الحكيم: الأصول العامة للفقه المقارن، تعريف كلمة أصول، ص ٣٩، دار الأندلس، بيروت .

٧- د.صالح عضَيمَة: مصطلحات قرآنية، موضوع الإنسان، ص ٦٨- ٧١ .

٨- الحكيمي: كتاب الحياة، ج٢ ص١٥٠، نقلاً عن بحار ألأنوار ٩٢: ٣٢ .

٩- نهج البلاغة - من خطبة أولها (يعلم عجيج الوحوش) .

١٠- السيد الخوئي: البيان في تفسير القرآن، باب فضل القرآن، ص١٧، دار الزهراء، بيروت .

١١- د. داوُد العطار، مُوجز علوم القرآن، ص٧ .

١٢- د. عبدالهادي الفضلي: أصول البحث، ص٢٤٨ .

١٣- الشيخ محمد حسن آل ياسين: في رحاب الإسلام، ص٢٤٥ .

١٤- يراجع في الآراء المذكورة: مجمع البيان ٤: ٤٥ و١٤٨، وتفسير الرازي ٢٤: ١٠١، وتفسير القرطبي ١: ٢٨٤ .

١٥- يراجع في الشروح المذكورة: مجمع البيان ٤: ٧١ و٢٩٩ و٤٠٣ و٤٧١ و٥٣١ .

١٦- يراجع في الأقوال السابقة: تفسير الطبري ٢٩: ٩٧، والتبيان: ٩: ٤٣٣، ومجمع البيان ٣: ١٧٤، وتفسير الرازي ٣٠: ١٤٠ .

١٧- ابن منظور: لسان العرب ٨: ٢٤٣.

١٨- يراجع في الأقوال المارة الذكر: تفسير الطبري ١٨: ٨ و ٢١: ٩٥، والتبيان ٤: ٧٧ و ٨: ٤٨٦، ومجمع البيان ٤: ٣٢٧، وتفسير الرازي ١٢: ١٥٢ و٢٣: ٨٤، وتفسير القرطبي ١٢: ١٠٩، ولسان العرب: مادة لزب.

١٩- ابن منظور: لسان العرب ٧: ٣٩٢.

٢٠- الفراهيدي: كتاب العين ٢: ١٠٠٥، مادة: أصل.

٢١- يراجع في الشروح الواردة: تفسير الطبري ١٤: ٢٨-٢٩، والتبيان ٩: ٤٦٨ وتفسير الرازي ١٩: ١٧٩، ولسان العرب: حمأ – وصلل – وسنن .

٢٢- تفسير الطبري ٢٣: ١٨٥، والتبيان ٨: ٥٨٠ .

٢٣- التبيان ٩: ٤٦٨ .

٢٤- البدء والتاريخ المنسوب للبلخي ٢: ٨١-٨٢ .

٢٥- جعفر سبحاني: معالم التوحيد في القرآن الكريم، ص٧٧، دار الأضواء، بيروت .

٢٦- مفردات الراغب - مادة: ذرو، ومجمع البيان ١: ١٩٩ في تفسير آية(قال ومن ذريتي) .

٢٧- ان للمفسرين في امثال هذه الآية مذهبين:

احدهما: تقدير لا، ففي قوله سبحانه: (يبين الله لكم أن تضلوا) النساء: ١٧٦ قالوا: ان المعنى هو أن لاتضلوا . فهم جعلوا قوله (ان تضلوا) مفعولاً له ليبين، بنحو (التحصيلي) فيكون المعنى (يبين الله لكم لأجل أن لاتضلوا) .

الثاني: عدم تقدير لا وجعل المفعول له من باب (الحصولي) كقول القائل ضربته لسوء ادبه أي لوجود هذا وحصوله فعلاً ضربته . فيكون معنى الآية السابقة هو (يبين الله لوجود الضلالة فيكم) ومنه يعلم حال الآية المبحوثة عنها، فيجوز فيها وجهان .

٢٨- تقدير (اذكر) في هذه المواضع لإرائة ماضوية الحادثة، وان كان غير محتاج اليه حسب القواعد الأدبية فأن (اذ) ظرف مهمل غير مقيد بشئ .

٢٩- مسند أحمد بن حنبل ١: ٤٤ و٤٥، ويراجع سنن أبي داوُد: ٢: ٥٢٩ .

٣٠- تفسير الطبري ٩: ١١٤، وبهذا المضمون روايات أخرى فيه .

٣١- الكافي ٢: ٨-٩، وبهذا المضمون عدة روايات أخرى فيه.

٣٢- تفسير الطبري ٩: ١١٠ .

٣٣- تفسير الرازي ١٥: ٤٦-٤٧ .

٣٤- المصدر نفسه ١٥: ٥١ .

٣٥- المصدر نفسه ١٥: ٥٢ .

٣٦- بحار الأنوار ٥: ٢٦٠ .

٣٧- آمالي الشريف المرتضى ١: ٢٨-٢٩ .

٣٨- التبيان ٥: ٢٨ .

٣٩- مجمع البيان ٢: ٤٩٧ .

٤٠- مجمع البحرين: مادة (وثق) .

٤١- هذه الانتقادات قسم منها نقلها صاحب مجمع البيان من المحققين الاسلاميين في ٤: ٤٩٧ ، وذكرت أيضاً في الميزان بالإضافة الى انتقادات أخرى، راجع لذلك ٨: ٣٢٥-٣٢٧، كما ذكرت هذه النظرية في تفسير الرازي مع اثنى عشر اشكالاً فراجع ٤: ٢٢١-٢٢٢ .

٤٢- راجع لمعرفة هذه النظرية: الميزان ٨: ٣٣٣ طبع طهران، وتفسير الفخر الرازي ٤: ٣٢٢، ومجمع البيان ٤: ٤٩٨ طبع صيدا، وفي ظلال القرآن ٩: ٥٨-٥٩ وقد جعل الأخير وقت استقرار الخلية البشرية في رحم الأم موعد ذلك الميثاق .

٤٣- مجمع البيان ٤: ٤٩٨ طبع صيدا .

٤٤- تفسير البرهان ٣: ٤٧ في تفسير آية (فطرة الله)، الحديث ٧.

٤٥- الأمالي ١: ٣٠ .

٤٦- السيد عبد الحسين شرف الدين، فلسفة الميثاق والولاية، ص٣-٥.

٤٧- الكشاف ٢: ١٢٩، ويراجع في مناقشات المعتزلة للنقليين تفسير الرازي ١٥: ٤٧-٤٩ .

٤٨- جواب المسائل السروية، بحارالانوار ٥: ٢٦٣-٢٦٦.

٤٩- بحار الأنوار ٥: ٢٦٧ .

٥٠- تفسير الرازي ١٥ : ٥٣ .

٥١- بحار الأنوار ٥ : ٢٦٦ .

٥٢- بحار الأنوار ٥ : ٢٦٦-٢٦٧ .

٥٣- الأمالي ١ : ٢٩ .

٥٤- جعفر سبحاني: معالم التوحيد في القرآن الكريم، ص١٠١ .

٥٥- المصدر نفسه، ص٩١ .

٥٦- الصحيفة السجادية، الدعاء ٥٢ .

٥٧- أي ان تكون هي عالمة باللّه .

٥٨- راجع تفسير الميزان ٨: ٣٣٤-٣٣٦ .

٥٩- يراجع تفسير الطبري ٨: ١٢٦-١٢٨، والتبيان ٤: ٣٥٦-٣٥٧، والكشاف ٢: ٦٨، وتفسير الرازي ١٤: ٣٠، وتفسير القرطبي ٧: ١٦٩ .

٦٠- تفسير الرازي ١٤: ٣٠ .

٦١- يراجع تفسير الطبري ٢٩: ٢٠٢، والتبيان ١٠: ٢٠٥-٢٠٦، والكشاف ٤: ١٩٤، وتفسير الرازي ٣٠: ٢٣٥-٢٣٦، وتفسير القرطبي ١٩: ١١٩-١٢٠، والميزان ٢٠: ١٢٠ .

٦٢- مجمع البيان ٥: ٤٠٦ .

٦٣- يراجع تفسير الطبري ١: ١٨٩، والتبيان ١: ١٢٢، وتفسير الرازي ٢: ١٥١، وتفسير القرطبي ١: ٢٤٩ .

٦٤- الكشاف ١: ٢٦٩ .

٦٥- تفسير الطبري ٧: ١٤٧، والتبيان ٤: ٧٧، ومجمع البيان ٢: ٢٧٢- ٢٧٣، وتفسير الرازي ١٢: ١٥٣-١٥٤، والميزان ٧: ٩.

مصادر البحث ومراجعه

- القرآن الكريم .
- ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٦هج.
- أبي داود: سنن أبي دا وُد، دار الجيل، بيروت، دت .
- أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هج .
- الجرجاني: التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٦هج.
- الحكيمي: الحياة، الدار الإسلامية، بيروت، ط٦، ١٤١٠هج.
- الخوئي: البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء، بيروت ط١، ١٩٩٢م.
- الزمخشري: تفسير الكشاف، القاهرة، ١٣٨٧هج .
- الشريف المرتضى: الأمالي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم .
- الطبرسي: تفسير مجمع البيان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هج.
- الطبري: تفسير الطبري، القاهرة، ١٣٧٣هج .
- الطوسي: تفسير التبيان، تحقيق أحمد العاملي، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هج.
- الفخر الرازي: تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

- الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مطبعة باقري، قم، ط١، ١٤١٤هج.
- القرطبي: تفسير القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- الكليني: الكافي، دار صعب و دار التعارف، بيروت، ط٤، ١٤٠١هج.
- المجلسي: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، دت.
- جعفر السبحاني: معالم التوحيد في القرآن، محاضرات العلاّمة الشيخ، بقلم جعفر الهادي، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م .
- داوُد العطار: موجز علوم القرآن، مؤسسة البعثة طهران، ط٣ ،١٤٠٣ هج .
- سميح عاطف الزين: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هج.
- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت .
- صالح عضَيمَة: مصطلحات قرآنية، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية – ط١، ١٩٩٤م .
- عبد الحسين شرف الدين: فلسفة الميثاق والولاية، مؤسسة الوفاء، بيروت .
- عبدالهادي الفضلي: أصول البحث، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، ط١، ١٩٩٢م .
- الإمام علي بن الحسين(ع): الصحيفة السجادية، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هج .

● فخر الدين الطريحي: مجمع البحرين، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هج.
● محمد تقي الحكيم: الأصول العامة للفقه المقارن، دار الأندلس، بيروت، دت.
● محمد حسن آل ياسين: في رحاب الإسلام، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٤م .
● محمد حسين الطبطبائي: تفسير الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هج.
● محمد عبده: شرح نهج البلاغة للإمام علي، مكتب الاعلام الاسلامي، ايران، ط١، ١٤١١هج.
● محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤هج.
● هاشم الحسيني البحراني: تفسير البرهان ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٩هج.

الفهرس

١- الإهداء ٣

٢- المقدمة ٥

٣- المدخل ٧

٤- أبواب البحث وفصوله ١٣

- الباب الأول: ١٤

- الفصل الأول: مسألة خلق الانسان ومبدأ خلقه ١٤

- النموذج الأول – خُلِقَ من الماء ١٦

- النموذج الثاني – خُلِقَ من التراب ١٧

- النموذج الثالث – خُلِقَ من الأرض ١٨

- النموذج الرابع – خُلِقَ من الطين ١٨

- النموذج الخامس – خُلِقَ من الصلصال ٢١

- الفصل الثاني: مسألة خلق الانسان الأول آدم (ع) ٢٤

- الباب الثاني: عالم الذر ٢٧

- الفصل الأول: مسألة عالم الذر ٢٧

- الفصل الثاني: التفسير النقلي ٣٣

- الفصل الثالث: التفسير العقلي ٤٧

- الفصل الرابع: التفسير الفلسفي ٦٥

٥- الخاتمة ٧٥
٦- الهوامش ٧٨
٧- مصادر البحث ومراجعه ٨٤
٨- الفهرس ٨٧